﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾

ميتة حسب الطلب

تأليف المربي
الدكتور محمد خير فاطمة

الفـــاتحة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

﴿ صدق الله العظيم ﴾

آيـات المـــوت

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

الملك: ١-٢

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ
تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الزمر: ٣٠-٣١

﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ
﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ
وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٤-٣٥

﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

ق: ١٩

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ ﴾

العنكبوت: ٥٧

﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ ﴾ الواقعة: ٦٠

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا
يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ ﴾ الأعراف: ٣٤

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ المنافقون: ١١

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ
وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ
نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥ ﴾ آل عمران: ١٤٥

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾

الجمعة: ٨

﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾

النساء: ٧٨

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ الفجر: ٢٧-٣٠

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾
الرحمن: ٢٦-٢٧

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ القصص: ٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الموت والحياة للبلاء وللاختبار والامتحان.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين الذي خاطبه الله بقوله:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]

وبعد:

كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء، لا قبله شيء، ولا بعده شيء، وخلق الله المخلوقات بمشيئته وإرادته وتقديره، خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان والحيوان والنبات والجماد، خلق الكون وما فيه.

خلق الله الإنسان كما شاء سبحانه واستخلفه في هذه الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥]

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر: ٣٩]

- وكانت مشيئة الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان في هذه الحياة مبتلى ومختبراً، فجعله مخيراً يختار الطريق الذي يحب، طريق الخير المؤدي إلى الجنة أو طريق الشر المؤدي إلى النار وقد بين ذلك سبحانه بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢-٣]

- أي وهبه الله السمع والبصر، وزوده بالقدرة على المعرفة والإدراك ثم هداه السبيل وتركه يختار، ليكتب مصيره بيديه وفي النهاية سيرى ثمرة اختياره.

- إذاً فإن الله عز وجل لم يخلق العباد في هذه الدنيا عبثاً، ولن يتركهم سدى، يتمتعون كما تتمتع الأنعام، ثم يبتلعهم التراب ويطويهم العدم.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

وقال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]

- وإنما خلقهم الله لحكمة يريدها، خلقهم لعبادته قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]

- وجعل الله الدنيا دار اختبار لهم ليبلوهم في هذه الحياة القصيرة.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ١–٢]

- فقضية الحياة والموت تجري وَفْقَ إرادة حكيمة، وليست أمراً عبثاً يجري إلى غاية وإنما هي قضية ابتلاء واختبار لإظهار المكنون في علم الله من سلوك العباد على مسرح الوجود وليكون استحقاقهم للجزاء وفق ما يظهر من نتائج.

- إن العقل الذي يؤمن بعدالة الله الواحد يؤمن أن هناك داراً أخرى سيجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[الجاثية: ٢١–٢٢]

- فالإنسان العاقل، والمؤمن الكامل على يقين من أمره وغاية وجوده وأنه في الدنيا في دار امتحان واختبار وبلاء فعليه أن يعمل للآخرة التي هي دار حساب وجزاء فهو يردد دائماً قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

[آل عمران: ١٨٥]

- وهو على يقين أن الدنيا ليست دار قرار له وأنَّ كل ما فيها من متاع ولذائذ إنما هو ضئيلٌ محدود زائف زائل إذا قيس بما في الآخرة من نعيم مقيم، لذلك يضع نصب عينيه قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [النساء: ٧٧]

- متذكراً قول النبي ﷺ «مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

[أخرجه ابن ماجه عن مستورد أخِ بن فِهر]

- المؤمن الحق من يعيش في هذه الدنيا عيشة الغريب عن وطنه بالزهد فيها والتزود منها للآخرة، يأخذ منها بقدر حاجته غير معلق قلبه بها، ولا مغتر بمظاهرها ومباهجها يعيش في هذه الدنيا آخذاً بقوة بوصية النبي ﷺ لعبد الله بن عمر فقد روي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. [صحيح البخاري]

- المؤمن الحق على يقين من الموت وأنه يأتي بغتة يأتي الصغير والكبير ويأتي القوي والضعيف، ويأتي الغني والفقير فهو على استعداد دائم له لا ينساه ولا ينشغل عنه أبداً وعلى يقين أن الموت تقدير الله تعالى يأتي باللحظة التي قدرها الله سبحانه وتعالى دون تأخير، ولا تقدي، فلا مهرب منه ولا مفر يردد دائماً قول الله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وقوله سبحانه: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨]

- متذكراً ما روي عن عبد الله بن عمر ﵄ قال كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِي ﷺ ثُمَّ

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». قَالَ فَأَيّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ «أي أعقل» قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ».

[أخرجه ابن ماجه]

وما روي عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ».

[أخرجه الترمذي وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ].

معتبراً بما قاله الإمام علي ﷺ يوماً يا عباد الله: (الموت الموت، ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، الموت معقود بنواصيكم، فالنجاة النجاة).

- والمؤمن الحق روحه متصلةٌ دوماً بروح الرسول ﷺ وهمته متعلقةٌ دوماً بتوجيهاته فقد كان رسول الله ﷺ لا يكف عن ذكر الموت ويقول لأصحابه:

«أكثروا ذكر هادم اللذات فإنه لا يكون في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا أجزاه».

[البيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمر]

- والمؤمن الحق يذكر قول الحسن البصري رحمه الله: (عجباً لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون).

- وقوله ﷺ: (فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحاً، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها).

ويذكر قول امرأة حبيب أبي محمد (وهو من التابعين): (كان يقول لي أبو محمد: إذا مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا، واصنعي كذا وكذا، فقيل لها: أرؤيا رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم).

وقول محمد بن أبي توبة (من علماء التصوف): أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي: تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لن أصلي بكم غيرها – يعني باقتراب الموت- فقال معروف: أنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل.

وقول الحسن: (اجتمع ثلاثة من العلماء فقالوا لأحدهم: ما أمَلُكَ؟ قال: ما أتى علي شهرٌ إلا ظننت أنني سأموت فيه، قال

فقال صاحباه: إن هذا هو طول الأمل، فقالا لأحدهم: فما أملك؟ قال: ما أتت علي جمعة إلا ظننت أنني سأموت فيها، قال فقال صاحباه: إن هذا هو طول الأمل، فقالا للآخر: فما أملك؟ قال: ما أَمَلُ مَنْ نفسُهُ في يدي غيرِه).

[ذكره ابن المبارك في الزهد]

وقول محمد بن واسع (وهو من التابعين) لأهله كلما أراد أن ينام: (استودعكم الله، فلعلها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها، وكان هذا دأبه إذا أراد النوم).

وقول عون ابن عبد الله (وهو من التابعين): (ما أنزل الموت كنه مترلته من عد غداً من أجله، كم من مستقبلٍ يوماً لا يستكمله، وكم من مؤملٍ لغدٍ لا يدركه، إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره).

ويذكر قصة ذاك الرجل الذي طرق باب أخيه، فسأل عنه فقيل له: ليس هو في البيت، فقال: متى يرجع؟ فقالت له جارية من البيت: من كانت نفسه في يدي غيره، من يعلم متى يرجع؟ فأنشد هذين البيتين:

ومـــا أدري وإن أملت عمراً   لعلي حين أصبح لست أمسي

ألم تَرَ أن كل صباح يــوم وعمرك فيه أقصر منه أمس

ويردد ما أنشده بعض السلف:

إنا لنفرح بالأيام نقطعهـــا وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل

- والمؤمن الحق ينصح من حوله ويذكرهم بمقولة حامد القيصري رحمه الله: (كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً فعلام تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو شر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً).

- كما يذكرهم ويذكر نفسه بمقولة داود الطائي (تابع التابعين):

(إنما الليل والنهار مراحل يترلها الناس مرحلة إثر أخرى حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب هو، والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك).

[أخرجه أبو نعيم في الحلية]

ويردد قول الفضيل بن عياض (من كبار رجال التصوف) لرجل: كم أتت عليك، قال: ستون سنة، فقال: فأنت منذ ستون سنة تسير إلى ربك ويوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول أنا لله عبد وإليه راجع، فمن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جواباً. فقال الرجل: فما الحيلة؟، فقال: يسيرة، تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى فإن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

وما أجمل قول من قال:

إن لله عبـــــاداً فطنـــــا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنـــا
نظروا فيها فلمـــا علمـــوا   أنها ليـــست لحـــيٍّ وطنـــا
جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا   صالح الأعمال فيها ســـفنا

وفي هذا المعنى قال بعضهم:

وإن امرأً قد سار ستين حِجة   إلى منهل من ورده لقريـــب

وقال آخر:

وما هذه الأيام إلا مراحـــل يحث بها داعٍ إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد

وقال ثالث:

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنـــه إذا ما تخطته الأمانيُّ باطـــل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهـــن قلائـــل

- المؤمن الحق لا ينسى الموت ولا يغفل عنه أبداً ويزداد به يقيناً كلما قرأ أوراق النعوات التي تَنْعَى موت الناس الصغيرَ منهم والكبيرَ، والصحيح منهم والمريض، فيتراءئ له أن اسمه سيكون قريباً على هذه الأوراق معتبراً بقول أبي الدرداء ﵁: (إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم).

- وقول ابن مسعود ﵁ (السعيد من وعظ بغيره)

- فيسارع ليعد نفسه لهذا اليوم إلى التوبة والعمل الصالح لا يغيب عنه ما رواه الْبَرَاءِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ فِي جنَازَةٍ فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**». [أخرجه ابن ماجه]

- ومعتبراً برسل الموت متذكراً ما ورد في الخبر أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ فقال: نعم، لي والله رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر، فإن لم يتذكر من نزل به ذلك، ولم يثب، فإن قبضته ناديته: ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول ونذيراً بعد نذير، فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

- ويردد دائماً قول الشاعر:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا ... واعص الهوى فالهوى ما زال فتانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... ننسى بمصرعه آثار موتانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا

- المؤمن الحق على يقين أن الموت رحلة انتقال من الدنيا والآخرة.

وما الموت إلا رحلة غير أنها ... من المترل الفاني إلى المترل الباقي

- وهو على يقين أن الإنسان يعيش في أربعة أطوار:

الطور الأول في رحم أمه.

الطور الثاني في دار الدنيا.

الطور الثالث في عالم البرزخ.

الطور الرابع في الجنة أو النار.

- وقد بين النبي ﷺ الفرق الماديَّ والمعنويَّ بين خروج الإنسان من رحم أمه إلى الدنيا — وهو الانتقال من الطور الأول إلى الطور الثاني – وبين خروجه من من الدنيا إلى عالم البرزخ — وهو الانتقال من الطور الثاني إلى الثالث – بقوله:

«ما شبهت خروج المؤمنين من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا»

[الحكيم عن أنس جامع الأحاديث]

- فهي متوالية حسابية تجري بين الانتقال من الرحم إلى الدنيا إلى عالم البرزخ إلى عالم الجنة أو النار من حيث الوسعة والراحة أو الضيق والعذاب.

قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾

[المؤمنون: ١٠٠]

- وقال الشاعر:

لا تظنوا الموت موتـــاً إنـــه   لحياة وهو غايـــات المـــنى
أنا عصفور وهذا قفـــصي   كان سجني فأَبيتُ السَجَنَ
كنت قبل الموت حياً بينكم   فحييت وخلعـــت الكفنـــا

- قال القرطبي في التذكرة: قال العلماء: (الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، لقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]

فالموت هو المصيبة العظمى والرذية الكبرى.

- فالموت حتم لا محيص عنه يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال، وفوق الهواء، وتحت الماء، وبين القلاع المنيعة، والحصون المتينة، ولو نجا أحدٌ من الموت لبسطة في جسمه وقوة في بدنه، ووفرة في ماله، أو سعة في سلطانه وملكه لنجا من الموت كثيرٌ من الناس، وإلا فأين عاد وثمود وفرعون ذو الأوتاد أين الأكاسرة والقياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟ فالموت لا يخشى أحداً ولا يبقي على أحد.

- والموت كأسٌ لابد أن تشربه كلُّ نفس، وأن يذوق طعمه كل مخلوق، فهو لامحالة واقع وليس له من دافع يقول تعالى:

﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء: ٧٨]

- ومهما يكن فما من أحد يستطيع أن يفر من هذا الحتم المحتوم.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [الجمعة: ٨]

- هذا وكل مدة في الدنيا إلى انتهاء، وكل حيٍّ فيها صائر إلى الفناء، وكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم في الدنيا لا محالة زائل قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٦– ٢٧]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨ ﴾ [القصص: ٨٨]

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنـــا
لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها ولو توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا ســـكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية فصيرهم لأطباق الثرى رهنا

- وقد تحدث الشيخ محمد الحجار في كتابه سمير المؤمنين عن سهرة شعرية بين الخلفاء الراشدين تحدثوا فيها عن الموت:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

الموت باب وكل الناس داخله يا لهف نفسي بعد الباب ما الدار

فأجابه عمر رضي الله عنه:

الدار دار نعيم إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار

فقال عثمان رضي الله عنه:

هما محلان ما للمرء غيرهمـــا فاختر لنفسك أي الدار تختـــار

فقال علي كرم الله وجهه:

ما للعباد سوى الفردوس منزلة وإن هفوا هفوة فالرب غفار

- المؤمن الحق العارف بالله والمحب له يذكر الموت دائماً ولا يغيب عنه أبداً لأنه موعد لقاء الحبيب وهو لا ينسى موعد لقاء

الحبيب فإن جاءه يقول: (ما روي عن حذيفة ﵁ أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم).

- يذكر دائماً قول السيدة عَائشَةَ رضي الله عنها فيما ترويه عن النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ اللَّه أَحَبَّ اللَّهُ لقَاءَهُ وَمَنْ كَرهَ لقَاءَ اللَّه كَرهَ اللَّهُ لقَاءَهُ». فَقُلْتُ يَا نبي اللَّه أَكَرَاهيَةُ الْمَوْت فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلك وَلَكنَّ الْمُؤْمنَ إذَا بُشِّرَ برَحْمَة اللَّه وَرضْوَانه وَجَنَّته أَحَبَّ لقَاءَ اللَّه فَأَحَبَّ اللَّهُ لقَاءَهُ وَإنَّ الْكَافرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

[صحيح مسلم]

- ويذكر قول الأعرابي الذي اشتد مرضه وقيل له إنك ستموت فقال: وإلى أين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: (ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده).

- والمؤمن الحق وإن أحب الموت ولم يخف منه لكنه لا يتمناه لقول النبي ﷺ: «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

- والمؤمن الحق لا يتمنى الموت ولا يدعو على نفسه بالموت مهما أصابه من بلاء ومحن وضيق وشدة متأدباً بقول النبي ﷺ:

«لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

[أخرجه النسائي عن أنس].

وقوله ﷺ: قَالَ «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلاَ يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً».

[أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ جَلَسْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَّرَنَا وَرَقَّقَنَا فَبَكَى سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ فَأَكْثَرَ الْبُكَاءَ فَقَالَ يَا لَيْتَنِي مِتُّ. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «يَا سَعْدُ أَعِنْدِي تَتَمَنَّى الْمَوْتَ». فَرَدَّدَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ «يَا سَعْدُ إِنْ كُنْتَ خُلِقْتَ لِلْجَنَّةِ فَمَا طَالَ عُمْرُكَ أَوْ حَسُنَ مِنْ عَمَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

[أخرجه أحمد في مسنده]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ بَلِىٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا وَأُخِّرَ الآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلاَفِ رَكْعَةٍ أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلاَةَ السَّنَةِ».

[أخرجه أحمد في مسنده]

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه في وصيته له عند موته: (إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولابد لك منه، وإن ضيعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه).

- وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يتمنى الموت، فقال:

(لا تتمنى الموت فإنك ميت، ولكن سل الله العافية).

- والمؤمن الحق يتمنى أن يطول عمره مع حسن عمله ليزداد رفعة ومكانة عالية يوم القيامة في الجنة فعن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال:

(من طال عمره وحسن عمله).

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

(إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة إليه).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(خيركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا).

[أخرج هذه الأحاديث الثلاثة ابن أبي شيبة في مصنفه]

والمؤمن يسعى إلى الأعمال الصالحات كالتقوى وصلة الرحم من أجل أن يطول عمره لينال تلك الدرجات العالية عملاً بهدي النبي ﷺ فعن علي رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يمد له من عمره فليتق الله، وليصل رحمه ».

[أخرجه ابن عساكر جامع الأحاديث]

وقال رسول الله ﷺ:«من أحب أن ينسأ له في عمره، ويبسط له في رزقه، فليصل ذا قرابته».

[ابن جرير عن أنس جامع الأحاديث]

وفي هذا الموضوع أذكر ما جاء في كتاب صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي متحدثاً عن نفسه، قال: دعوت يوماً فقلت اللهم بلغني آمالي من العلم والعمل، وأطل عمري لأبلغ ما أحب من ذلك، فعارضني وساوس من إبليس، فقال: ثم ماذا؟ أليس الموت

فما الذي ينفع طول الحياة؟ فقلت له: يا أبله. لو فهمت ما تحت سؤالي علمت أنه ليس بعبث، أليس في كل يوم يزيد علمي ومعرفتي، فتكثر ثمار غرسي يوم حصادي؟ أفيسوؤني أنني مت منذ عشرين، لا والله لأنني ما كنت أعرف الله تعالى معرفتي به اليوم وكل ذلك ثمرة الحياة التي فيها اجتنيت أدلة الوحدانية، وارتقيت عن حضيض التقليد إلى يفاع البصيرة، واطلعت على علوم زاد بها قدري، وتجوهرت بها نفسي ثم زاد غرسي لآخرتي، وقويت تجارتي في إنقاذ المباضعين من المتعلمين، وقد قال الله تعالى لسيد المرسلين: وقل رب زدني علماً. وفي صحيح مسلم من حديث أبا هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً».

وفي حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله عز وجل الإنابة» [أخرجه أحمد]- فياليتني قدرت على عمر نوح، فإن العلم كثير وكل ما حصل منه حاصل رفع ونفع.

- المؤمن الحق دائماً يدعو بدعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَاي الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَــادِي وَاجْعَلِ الْحَيَــاةَ**

زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

[صحيح مسلم عن أبي هريرة]

- متيقناً بقول النبي ﷺ «تحفة المؤمن الموت».

[أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم مرسلاً بسند حسن]

- المؤمن الحق على يقين بأنّ الموت حقٌ ثابت، ووعد صادق وقريب بعيد، وبعيد قريب.

- يقول لنفسه: أين علماء الأمة؟ أين صناع الحياة؟ أين مصابيح الدجى وسرج العالم؟

أين الأولياء؟ أين الصالحون؟ أين العارفون بالله وأهل الله وخاصته؟

أين الخطباء والمخلصون؟ أين الدعاة العملون؟ الموت كأس الأولين، وكأس الآخرين وواعظ صامت يبكي عيون العالمين.

- ثم يردد مع نفسه: الموت قادم لا محالة لا ينجو منه أحد، ولا يفلت منه مخلوق، الموت كأس الأولين وكأس الآخرين وواعظ صامت يبكي عيون العالمين الموت نهاية كل حي ومصير كل مخلوق لا ينجو من الموت احد ولو نجا من الموت أحدٌ لنجا منه سيد الأولين وسيد الآخرين سيدنا محمد ﷺ.

- والمؤمن الحق إذا شعر بقرب أجله أحسن الظن بالله عز وجل عملاً بوصية النبي ﷺ حيث روى جَابر رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلاَثٍ يَقُولُ «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

[أخرجه مسلم]

- ويردد: يارب.

أزف الرحيل إلى ديار الآخرة فأجعل إلهي خير عمري آخره

فلئن رحمت فأنت أكرم راحم وبحار جودك يا إلهي زاخرة

آنس مبيتي في القبور ووحدتي وارحم عظامي حين تمسي ناخرة

ميتة حسب الطلب

- جميع المؤمنين يُقِرونَ إيماناً وعقلاً وحساً ومشاهدة أن الموت لابد أن يدرك كل إنسان كائناً من كان، وفي أي مكان كان وفي لحظة لا يعلمها إلا الله.

- المؤمن الحق لا يسعى إلى الموت بل يتمنى أن يطول عمره ويحسن عمله، ساعياً إلى الخيرية التي أرشد إليها النبي ﷺ حين سئل ﷺ أي الناس خير؟ فقال: «من طال عمره وحسن عمله».

[المستدرك للحاكم عن عبد الله بن بسر]

فهو يسعى إلى الأبواب التي تسبب إطالة العمر ويهيئ الأسباب من صلة للأرحام وغيرها كما في حديث النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الأثر: الأجل، ينسأ: يؤخر.

- والمؤمن لا يتمنى الموت لأي سبب كان ومهما نزل الضر به بل يقتدي بالنبي ﷺ في قوله: «لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا

كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

[البخاري عن أنس]

- ولأن الموت لابد أنه واقع بكل إنسان فإن المؤمن الحق الذي أدى واجباته تجاه الله حق الأداء لا يهاب الموت ولا يخافه بل هو دائماً يعد نفسه له وهو على يقين بأن الموت نقلة إلى مكان أعلى ومكانة أسمى.

- وبما أن سبب الموت واحد هو انتهاء الأجل، وليس المرض أياً كان، وأنَّ الحوادث بكل أنواعها ليست هي سبب الموت، وإن كانت نهايتها الموت فهي شكل من الأشكال التي انتهى بها الأجل مشيئة من الله وتقديراً.

- وبما أن انتهاء الأجل الذي هو سبب الموت، تتعدد صوره وأشكاله بمشيئة الله وتقديره، وليس للمخلوقات شأن في ذلك، ولا إرادة ولا أمر ولا اختيار فإن بعض المؤمنين يدعون الله عز وجل، ويسألونه أن يميتهم على وضع معين، وحالة يحبونها، وهيئة يرغبون فيها عندما ينتهي أجلهم وتأتي ساعة منيتهم، وهذا ما أسميه (**ميتة حسب الطلب**).

- يطلبون من الله ويدعونه ويسألونه ويرجونه أن يميتهم على حالة يرغبون فيها، آملين منه سبحانه تحقيقها.

يحدوهم الرجاء أن يبعثوا على ما ماتوا عليه لقول النبي ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

[أخرجه ابن حبان عن جابر]

وما ذُكر في صحيح مسلم:

(أنّ من مات في الحج يبعث ملبياً والشهيد يبعث والدم يسيل منه).

إلى جانب الدعاء المأثور عن التابعين والصالحين:

(اللهم ارزقنا حسن الخاتمة).

فإن هؤلاء يتمنون أن يأتيهم أجلهم وهم في أحسن حالات القرب من الله ورضوانه إما في الحرمين أثناء أداء الحج والعمرة أو في وقت أداء فريضة الصيام أو نافلته أو وهم متجهون إلى القبلة يقرؤون القرآن أو يصلون الفرائض أو النوافل وخاصة قيام الليل أو التهجد أو في وقت مجالستهم للعلماء وحضورهم دروس العلم، أو أثناء أي عمل صالح يقومون به تقربا إلى الله ليحشروا يوم القيامة على ذلك، رغبة منهم أن يغفر الله ذنوبهم ويدخلهم الجنة بغير

حساب ويجعل مقامهم في جنة النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

- وفي كثير من الأحيان يستجيب الله دعاءهم ويلبي رغبتهم ويحقق طلبهم فيموتون على الحالة التي سألوها الله عند انتهاء أجلهم.

- والذي دعاني لهذه التسمية وكتابتي هذه الرسالة بعد البحث عن حقائقها وتحققها عند الصحابة والتابعين والصالحين والعلماء العاملين وأولياء الله وأحبِائه، الذي دعاني لذلك واقعتان حدثتا على مرأى مني ومسمع في إحدى رحلاتي إلى البيت الحرام خادماً للمعتمرين.

وقد أفاض الله علينا فيها من تجلياته وأنواره وأفضاله واستجاباته وكرمه مما يشرح الصدور وينير القلوب مع السرور والقبول والاستغفار المقبول والتوبة النصوح، والاستقامة القويمة،والفوائد الجمة للمعتمرين جميعهم، فشعروا كأنهم ولدوا من جديد، وأتاهم من الله المزيد، وهذا فضلٌ من الله عز وجل يمنحه لكل حاجٍ ومعتمرٍ لبيته الحرام.

أما الحادثة الأولى: (لا تتأخر علينا يا أبا كاسم)

- فقد كان من عادتي أن أحضر قبل ميعاد السفر للعمرة في البر إلى مكان الانطلاق بساعة لأقوم بترتيبات متعددة فأستقبل المعتمرين وأرشدهم إلى وضع حقائبهم في الأمكنة المخصصة لذلك، ثم أوزعهم على المقاعد المخصصة لهم في الحافلة، وبعد أن اطمئن عليهم أودعهم لتنطلق الحافلات بإذن الله قاصدة مكة المكرمة، على أن ألحق بهم في اليوم الثاني عن طريق الجو فألتقي بهم في الفندق المخصص لنقوم جميعاً بأعمال العمرة.

- في اليوم المخصص للسفر لأداء العمرة في إحدى هذه الرحلات وجدت عند حضوري إلى مكان الانطلاق أحد المعتمرين ويدعى أبو كاسم- وهو أحد المسافرين برفقة زوجته- قد سبقني إلى مكان الانطلاق فجرى بيني وبينه ما يلي: بادرته بالسلام فرد علي السلام بحرارة وأخذ يعانقني ويقبلني وسلمت على أولاده الذين جاؤوا لوداعه، ثم قلت له: لماذا حضرت باكراً يا أبا كاسم؟، فرد علي فوراً وباندفاع ووجهه يتهلل بالابتسامة والسرور خفت أن تفوتني الحافلة، فقلت له: لكنك حضرت قبل ساعة من الموعد المقرر. هز رأسه مبتسماً وبادر أحد أولاده إلى القول: قلنا له ذلك لكنه أصر على الحضور باكراً!.

- قلت له لماذا يا أبا كاسم، قال: أسرعت مخافة أن تفوتني الحافلة لأني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ليلة البارحة وهو يقول لي: لا تتأخر علينا يا أبا كاسم فنحن في شوق إليك ننتظرك، لذلك أسرعت إلى الحضور باكراً قبل الموعد المحدد للانطلاق، لأكون مطمئن البال فأضمن ألا تفوتني الرحلة.

قلت له: هنيئاً لك ما رأيت وبارك الله فيك.

ثم حضر المعتمرون متتابعين وأتممت إجراءات سفرهم ثم ودعتهم وانطلقت الحافلات بالمعتمرين داعياً لهم بالسلامة.

- وفي اليوم الثاني سافرت جواً فالتحقت بالفوج، وفي الفندق المخصص، وفي مكة المكرمة التقيت جمع المعتمرين الذين سافروا عن طريق البر أو عن طريق الجو ثم اتجهنا إلى الحرم لأداء العمرة وما أجملها من لحظة لا تقدر بثمن حين نظرنا إلى الكعبة وأخذنا نحمد الله عز وجل الذي دعانا لزيارة بيته وأوصلنا إلى حرمه وأرانا كعبته ومتعنا بجمالها وعمنا بتجلياتها وأخذ كل منا يدعو بما يشاء وعيناه تذرفان دموعاً امتزج بعضها ببعض، امتزجت دموع الفرح، بدموع التوبة، بدموع الحب والعشق والشوق، بدموع الحاجة وبغير ذلك من الدموع، وقد علم كل

منا أن الدعاء عند النظرة الأولى للكعبة عند دخول الحرم للمرة الأولى مستجاب فقد ورد ذلك عن التابعين والعلماء والعارفين والأولياء والصالحين وأهل الله المقربين.

- تابعنا السير حتى اقتربنا من الكعبة تجاه الحجر الأسعد فاستلمناه ناوين طواف العمرة، وأخذنا نطوف الأشواط السبعة ونحن في أعلى حالات القرب والطرب والسرور والدعاء والمناجاة والتجليات والأنوار.

- ثم صلينا ركعتين سنة الطواف خلف مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، واتجهنا نحو الصفا فشربنا من ماء زمزم بعد أن دعا كل واحد منا بحاجاته موقناً باستجابة الدعاء لما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ ».

[سنن ابن ماجه عن جابر بن عبد الله]

- ولما وصلنا إلى الصفا استقبلنا الكعبة ودعونا الله بالدعاء المأثور، وبدأنا السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة، ونحن جميعاً ندعو بالأدعية المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه والعلماء الصالحين حتى أتممنا السعي وسألنا الله تعالى الاستجابة والقبول، وأخذ كل منا يتحلل بالتقصير أو الحلق.

- كان دوماً إلى جانبي وزوجته إلى جانبه في جميع أشواط الطواف والسعي، يطوف ويسعى بهمة عالية وإرادة قوية ونشاط ظاهر وهو يدعو الله متضرعاً باكياً وجلاً خاشعاً، وكذلك كانت حالة زوجته.

- لقد كان أبو كاسم كبير السن يعاني عدة أمراض لكنه ما كان يُعْلِمُ أحداً بذلك ولاشكا منها إلى أحدٍ أبداً وكان من ينظر إليه وهو يؤدي مناسك العمرة بهمة ونشاط وخاصة حين يهرول بين الميلين في السعي، لايخطر ببالي أن به شيئاً من الأمراض أو أنه يعاني شيئاً منها.

- توجهت إلى أمكنة الحلاقين خارج الحرم بجانب باب المسعى، وبعد أن حلقت وتحللت وجدت أبا كاسم مع زوجته ينتظراني، فبادرته قائلاً: لماذا أنت هنا يا أبا كاسم أما تحللت؟ أجابني: نعم لقد قصرت.

لَمَ أنت هنا إذاً؟ أجابني: أنتظرك، ولَمَ تنتظرني؟ ولماذا لم تذهب إلى الفندق؟.

أجابني لأسلم عليك ثم عانقني، وأخذ يقبلني من وجهي ورأسي، ويقول لي: مبارك العمرة، ثم تابع كلامه وقال: سأسبقك، فقلت: وأنا سألحق بك.

- ودعته وانصرف مع زوجته وسار بجانب المسعى من خارج الحرم وهو ينظر من كل مداخله إلى الحرم إلى أن وصل إلى باب السلام ونظر إلى الكعبة ثم التفت إلى زوجته واضعاً رأسه على كتفها وقال:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آن أوان الرحيل وها قد تحققت أمنيتي ثم نفخ النفس الأخير وسقط ميتاً.

- ولما وصلت إلى الفندق أخبرت بوفاته فقام ولدي أويس مع بعض الإخوة من المعتمرين بتجهيز كل ما يلزم لدفنه في مكة المكرمة، وصلينا عليه في اليوم التالي لوفاته في الحرم الشريف مع آلاف المصلين، ودفن في مثواه الأخير هناك.

- ثم أخذت أفكر في كلامه حين أتى باكراً إلى مكان الانطلاق بعد أن رأى النبي ﷺ بالمنام وأمره أن لا يتأخر وأفكر في إقدامه الشديد على أداء العمرة وفي انتظاره لي بعد أداء العمرة بالقرب من الحلاق ليسلم علي ويودعني وفي قوله سأسبقك ولن أنسى ما قلت له: إنني سألحق بك، نعم سبقني وسألحق به، متى وأين؟ الله أعلم، يا ألله إني أسألك حسن الخاتمة والوفاة على الإيمان وأنت راض عني يا رحيم ويا رحمان.

- والأمر الغريب في هذه القصة أنني رأيت زوجته تكثر البكاء عليه، فأردت أن أعزيها وأهدئ من روعها، كم كانت دهشتي كبيرة عندما قالت لي:

أنا لا أبكي على أبو كاسم بل أنا أحسده على ميتته!

لَمَ إذاً تبكين هذا البكاء الحار؟ أجابت: أبكي على نفسي لأننا تعاهدنا منذ أكثر من عشر سنوات أن نذهب كل عام لأداء العمرة، وكنا دعونا الله أن نموت معاً في الحرم بعد أداء العمرة ليصلي علينا جموع المؤمنين فيه وندفن هنا في مكة المكرمة، ونحن مطمئنين أن الله قد غفر لنا ذنوبنا فنلقى الله وما علينا ذنبٌ وندخل الجنة معاً تحت لواء الرسول ﷺ، وأخذت تبكي بشدة.

ثم أضافت قائلة نعم أبكي لأن الله عز وجل قد استجاب دعاءه، ولم يستجب دعائي، وأرجو من الله في المرات القادمة أن يحقق دعائي، وأن أدفن بجانبه لنحشر معاً، وندخل الجنة معاً.

- لم أستطع أن أتكلم أية كلمة، وابتعدت عنها وقد غلبتني دموعي، وذهبت إلى غرفتي وأسئلة كثيرة تجول في خاطري!

أيُّ بشرين هذان؟! أيُّ مؤمنين هذان؟! أيُّ زوجين هذان؟! أي حب بينهما؟!. أيُّ معاهدة جرت بينهما؟! أيُّ هدف سام

تعاهدا عليه؟! أيُّ صدق بينهما؟!. أيُّ غاية لهما؟! وأيُّ أمل لهما في إنهاء حياتهما؟.

كيف حقق الله أمل أبي كاسم حيث مات حسب طلبه ورغبته!

أي بكاء لهذه الزوجة الصالحة؟ ولَمَ تبكي؟ وما هي رغبتها التي تتمنى حصولها؟ أي قوة إيمان هذه! وأي ثقة بالله هذه!وأي طلب من الله هذا!وأي استجابة من الله هذه!

- هنيئاً لك يا أبا كاسم هذه الخاتمة التي أردتها وطلبتها من الله فحققها الله لك كما تحب فهي: **(ميتة حسب الطلب)**.

فها أنت تموت في الحرم وبجانب الكعبة وقد صلى عليك في الحرم آلاف المصلين ودعوا لك بزيادة الحسنات ومحو السيئات ورفع الدرجات وأن تكون مع الذين أنعم الله عليهم في جنة عرضها السموات والأرض.

الحادثة الثانية: (أمنيته منذ عشرين عاماً)

لقد كانت أغرب من الأولى وقد حدثت في رحلة العمرة نفسها، ولكن بعد أيام قليلة من موت أبي كاسم.

- قبل السفر لأداء هذه العمرة حضر أخٌ كريم يدعى غسان تربيت وإياه في مسجد واحد وتحت مظلة شيخ قدير، وعالم جليل رحمه الله وأعلى مقامه، فقال لي هذا الأخ: يا أستاذ إن والدي يحب أن يذهب كل عام إلى العمرة وهذا ديدنه أكثر من عشرين عاماً، يذهب وحده ولا يحب الذهاب مع أي فوج، لأن له برنامجاً خاصاً فهو لا يحب أن يتقيد بأحد وأنا أرغب في أن يكون معك في فوجك هو ووالدتي هذا العام لأداء العمرة لأنني أخاف عليه

قلت له: على الرحب والسعة، وفعلاً انضم إلى المعتمرين.

من عادتي أن أعطي كل معتمر بطاقة خاصة يعلقها في رقبته فيها صورته مع اسمه وعنوان إقامته ورقم هاتف يرجع إليه عند الضرورة، وقد استلم كل معتمر هذه البطاقة لكنني لم اجتمع بأبي غسان لأعطيه هذه اللوحة بسبب انفراده ببرنامجه الخاص الذي علمته بعد حين، وهو أنه ألزم نفسه أن يصلي قبالة الركن اليماني جميع الصلوات من فرائض وسنن، مع المحافظة على طواف دائم

من بعد صلاة العصر إلى المغرب ثم قراءة ما تيسر له من القرآن ما بين صلاة المغرب والعشاء وبعد صلاة العشاء يصلي قيام الليل ثم يعود بعد ذلك إلى الفندق ليتناول طعام العشاء وينام إلى قبل الفجر بساعة ليذهب إلى ذلك المكان ويؤدي صلاة الفجر ثم يتابع قراءة القرآن ويصلي صلاة الضحى ثم يعود إلى الفندق ليتناول طعام الإفطار ويستريح إلى قبيل صلاة الظهر، ثم يخرج إلى الحرم ليصلي فيه الظهر ثم يعود إلى الفندق لتناول طعام الغداء ثم يسرع العودة إلى الحرم حتى لا تفوته صلاة العصر وذلك شأنه كل يوم.

- بعد أيام من وفاة أبي كاسم - وكانت بطاقة أبي غسان ما زالت في جيبي - خرجت ليلاً من الفندق قبل الفجر فاجتمعت عند باب الفندق بأبي غسان فقلت له: أين أنت يا أبا غسان؟ إني أبحث عنك من أول الرحلة و لم أَرَكَ إلا هذه الساعة.

أجابني مبتسماً ها أنت تراني، قلت: وقد أخرجت بطاقته من جيبي أرجوك علِّق هذه البطاقة على رقبتك، فقال لي: لا حاجة لي بها قلت: بالله عليك استجب لي وضعها أخذها من يدي وودعني على عجل وأسرع إلى الحرم حتى لا يفوته شيء من برنامجه. من عادتي أن أصلي مع المعتمرين من فوجي في الطابق الثاني للحرم

وفي الصفوف الأولى فنرى الكعبة بجمالها ونرى الإمام والمصليين وخاصة في صلاة الفجر والمغرب والعشاء.

- في ذلك اليوم ونحن في صلاة العشاء مؤتمين بإمام الحرم الشيخ (السديس) الذي شرع بالصلاة خلف مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام سقط أحد المصلين على الأرض ميتاً يساره من جانب الركن اليماني وتبعه سقوط مصلٍ آخر أيضاً على يمينه وإذا بالإمام السديس يخطئ في قرائته الفاتحة وجال في نفسي خاطر مضحك هو: أنَّ السديس ما أخطأ بقراءة الفاتحة إلا لأن ملك الموت يجول عن يمينه وشماله فخشي أن يناله.

- رأيت هذا المنظر أنا ومن معي من المعتمرين ونحن نصلي في الطابق الأول وما خطر ببالنا أن الميت خلف الركن اليماني هو أبو غسان.

- كان أبو غسان قد نهض بعد إقامة صلاة العشاء لأدائها ولما أراد أن ينوي الدخول في الصلاة سقط ميتاً ومن حسن حظه أن كان إلى جانبه شاب يعرفه كان قد عمل عنده في متجره فنظر إلى بطاقته واتصل برقم الهاتف الموجود في البطاقة وأعلمنا بوفاته.

- اتصلت بغسان ابن المتوفى وما أشد غرابتي عندما رد علي السلام وقال لي: هل مات والدي؟ أجبته: أعظم الله أجركم

وغفر الله لوالدكم، قال وهو يبكي:الحمد لله هكذا كانت أمنيته منذ عشرين عاماً ولقد حقق الله أمنيته فقد كان يدعو في كل عمرة أن يميته الله في الحرم وخلف الركن اليماني ويصلى عليه في الحرم من قبل آلاف المسلمين، قلت: هل أرسل جثة والدك إلى دمشق أم أدفنه في مكة، فقال لي:بل ادفنه في مكة ووصيته أن يدفن بالقرب من قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وأرجو أن تحقق طلبه، فأجبته وأنا بين الضاحك والباكي ماذا تقول؟ وأي وصية هذه؟ قال: افعل ما تراه مناسباً.

- قبل أشهر من هذه الحادثة كان أمير مكة قد أصدر قراراً بمنع دفن أي شخص في مقبرة المَعلاه في منطقة الحَجُونِ والتي فيها قبر السيدة خديجة رضي الله عنها وقد خُصص مكان آخر في جهة أخرى لدفن كل من يموت بعد هذا القرار، وقد علمنا بذلك عندما قمنا بدفن أبي كاسم في هذه المقبرة الجديدة.

- وبينما أنا أفكر بموت أبي غسان وطلبه أن يموت بهذا الشكل وأفكر في وصيته بأن يدفن بالقرب من السيدة خديجة رحمة الله عليها قرع جرس الهاتف وإذا بولدي أويس يقول لي: يا والدي أنا في المستشفى بجانب جثة أبي غسان وقد همس في أذني

أحد من يعمل في مقبرة المعلاه أن قبراً بالقرب من قبر السيدة خديجة رضي الله عنها مجهز للدفن إن رغبتم بدفن أبي غسان فيه، و لم أتمالك نفسي عندئذ وأخذت بالبكاء فسألني ولدي عن سبب البكاء فحدثته بوصية أبي غسان وكيف هيأ الله له تحقيق رغبته.

- صلينا على أبي غسان في الحرم مع ألوف المصلين ودعونا له بالدعاء المأثور ثم دفن في مقبرة المعلاه بالقرب من قبر السيدة خديجة رضي الله عنها.

- نعم هي (**ميتة حسب الطلب**).

- هاتان الحادثتان كانتا الدافع إلى أن أفكر بكتابة رسالة أتحدث فيها عن مؤمنين رغبوا إلى الله وسألوه أن يموتوا على حالة من حالات الإيمان والوصال والحب والقرب من منه سبحانه وتعالى فاستجاب الله لهم وحقق رغبتهم.

- وأول من خطر ببالي إخوانٌ لي عاشوا معي في المسجد الذي تربيت وإياهم فيه مسجد أبي النور في كنف المربي الكبير سماحة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو رحمه الله، كانت ألسنة بعضهم تلهج بالدعاء برغبتهم أن يموتوا وهم بين يدي الشيخ في درسه حيث كانت تجول أرواحهم في نسمات الحب الإلهي، ولذة

القرب منه سبحانه، كانت أمنياتهم أن يموتوا وهم يعيشون هذه الحالات من القرب الإلهي والصفاء الرباني ليلقوا الله عز وجل وهم على هذه الحالة، فلقد استجاب الله دعاءهم فبينما هم في مجلس درس الشيخ مساء الخميس أو صباح يوم الجمعة إذ بأرواحهم تنطلق إلى بارئها أذكر منهم:

- **الأخ يوسف الدرا** وهو شاب في العشرينيات من عمره لَزِمَ سماحة الشيخ منذ نعومة أظفاره فقد كان والده أبو سعيد الدرا يحضره معه إلى مجالس الشيخ، فترعرع هذا الشاب في دروس فضيلة الشيخ رمضان ديب يتعلم تلاوة القرآن وتجويده إلى أن حفظ القرآن عن ظهر قلب، وامتلأ قلبه بنور الحب الإلهي، فحبب إليه الطاعة والإنس بالله وحضور مجالس العلم.

ويصاب هذا الشاب بمرض عضال في دمه يعاني منه أشد الآلام، وهو صابر محتسب مصابه عند ربه، ويدوم المرض ستة أشهر، وتذوي نضارة الشباب من وجهه، ويشحب لونه، وتسوء صحته، إلى درجة أنه لم يعد يقوى على المشي، ومع ذلك لم يتخلف عن أي مجلس علم.

كان هذا الشاب يتمنى على الله دائماً ويدعوه أن تكون وفاته في المسجد وفي درس شيخه، وفي يوم اللقاء وتحقيق الرجاء،

يركب يوسف الحافلة التي تقله إلى مسجد أبي النور وهو يعاني سكرات الموت، ويعينه بعض ركاب الحافلة على النزول ويمشي باتجاه أبي النور عشية يوم الخميس في يوم من أيام الصيف الحارة، ويقطع المسافة بين ساحة شمدين وجامع أبي النور وهي لا تتجاوز ثلاثمائة متر في أكثر من ساعة بخطواته القصيرة، ومشيته المتثاقلة، وجسمه الضعيف الذي أنهكه المرض وسكرات الموت.

ويصل يوسف إلى المسجد ويستقبله عدد من الشبان يساعدونه في النزول إلى باحة المسجد ويدخل وقت صلاة المغرب ويأخذ يوسف مكانه في آخر صف تحت شجرة الليمون، ويؤدي صلاة المغرب وهو في حالة من الضعف المتناهي ويجلس بعد الصلاة ينتظر بدأ درس سماحة الشيخ ويبدأ الدرس ويدخل وقت العشاء ويستمر الدرس إلى ما بعد صلاة العشاء بأكثر من نصف ساعة وينتهي الدرس وتقام الصلاة لأداء صلاة العشاء ويقوم الناس للصلاة ويتخلف يوسف عن القيام لأن روحه عرجت إلى بارئها مع نهاية الدرس.

ويرافق الشيخ رمضان جثمان الشاب شهيد العلم إلى بيته، ويسجى في فراشه، ويجلس الشيخ رمضان إلى جانبه يقرأ القرآن

ويدعو له وتأخذه سنة من النوم وهو جالس فتأتي روح هذا الشاب يوسف وهي في عالم الملأ الأعلى وتقول للشيخ في المنام: (يا شيخ رمضان قم فصلِ العشاء فقد انشغلت بي عنها).

ويصحو الشيخ رمضان ليؤدي صلاة العشاء، وبعد عودته من الوضوء يرى أمراً عجباً أمراً فريداً من نوعه حيث يشم رائحة المسك تملأ الغرفة وهي تتصاعد من جسد هذا الشاب بعد موته.

وفي اليوم التالي أراد الشيخ القيام بإجراءات الدفن لكن والدة هذا الشاب تلح ألا يدفن ابنها حتى يأتي أبوه من الأردن، وتشاء الأقدار أن يتأخر هذا الوالد عن الحضور ما يقارب أربعين ساعة، وجسد يوسف مسجى في فراشه في هذا الحر دون أن أي تبريد ومع ذلك ظلت تتصاعد من جسده الطاهر رائحة المسك حتى دفن.

لقد بكى أبوه بكاء شديداً منقطع النظير ولما سأله الشيخ لَمَ هذا الجزع؟. أجاب: يا شيخي ليس جزعاً على ابني وإنما أبكي على نفسي لأنني كنت أشتهي هذه الميتة لنفسي ففاز بها ابني يوسف وحرمت منها.

نعم لقد مات يوسف كما يشتهي فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب. وكان في ميتته دروسٌ كثيرة لا تنسى.

- حتى إن بعضهم عندما لم تتحقق أمنيته بذلك في حياة الشيخ ظل يطلب ذلك ولو في مجلس الشيخ بعد وفاته، وقد حقق الله أمنيته من هؤلاء الأخ أبو عبد أديب السيد حسن رحمه الله الذي توفي في يوم الجمعة في مجلس الشيخ بعد وفاة الشيخ رحمهما الله تعالى الذي كان رجلاً بحقٍ لكنه لا كالرجال وأخاً تميز عن باقي الإخوان بصفات كثيرة أهمها شخصيته المتميزة، ومروءته الظاهرة، وتواضعه الشديد، وكرمه الوافر، وكانت له اليد الطولى في دعوة الشباب منذ الخمسينيات وما بعدها، فكان يشترط على الدعاة لهؤلاء الشباب أن يقاسموه الثواب في دعوتهم مقابل أن يقدم المال الذي يخدم هذه الدعوة في أنشطة الرحلات أو الحفلات أو الجوائز التي تقدم لهم فيقول لهم:

أنتم تملكون العلم والطريقة والأسلوب في الدعوة إلى الله، وأنا أملك المال الذي تحتاجونه لدعوة هؤلاء الشباب والأخذ بأيديهم إلى الله عز وجل.

وقد انفق على الكثير من المال في سبيل الدعوة إلى الله تعالى حيث كان يملك طاحونة كبيرة في منطقة الجبة، وما أجمل أن تراه وهو يركب حصانه ويجول هنا وهناك ليتفقد أعمال الدعوة المتعددة، وكم كنت تراه يجلس بعيداً من الشباب في رحلاتهم

وأنشطتهم المختلفة يحميهم من أي عارض يعترضهم وبيده مسبحته التي يذكر الله بها، وكم كنت تُسَرُّ حين تراه وهو يهتف في حفلات أعراس هؤلاء الشباب بالأهازيج الإيمانية، والكلمات المعبرة الملتزمة بآداب الشرع وتعاليمه بصوته الرجولي الرنان وحبه العميق لهم، ولا ننسى مساعدته المالية لهؤلاء الشباب.

بعد وفاة الشيخ رحمه الله وفي أحد دروس الجمعة وفي مجلس الشيخ كان الشيخ بشير الباني رحمه الله يعظ بكلماته العذبة، وعند صلاة الجمعة وفي صالون المسجد لبى أبو عبدو نداء ربه ومات حسب رغبته في مجلس الشيخ فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- وفي هذا المجال لابد أن أذكر **قصة الشابة الداعية لله تعالى أم خالد**، فبعد أن تعرفت هذه الشابة على مربية فاضلة أخذت بيدها نحو معرفة الله ودراسة العلم الشرعي، وحفظ كتاب الله، فتعمق إيمان في قلب هذه الشابة وسرى حب الله في أعماقها، فأحبت أن تؤدي دورها في الدعوة إلى الله، وكان طموحها كبيراً وهمتها عالية، فسألت الله عز وجل أن يحيي أهل بلدها (قارة) ذكوراً وإناثاً وصغاراً وكباراً أن يحييهم بالإيمان الصادق والتقوى الحقيقية.

وقد سعت بكل ما تملك إلى تحقيق هدفها فعرّفت الكثير من أهلها وأهل قريتها على العلماء العاملين وأوصلتهم إليهم، ودعت الدعاة لزيارة بلدتها والقيام بأنشطة إيمانية متعددة، وكان فرحها بإقبال العديد من أهل بلدتها على هذه الأنشطة، وحضور دروس العلم والذكر والقرآن كبيراً.

وساهمت بنفسها بإقامة دعوة نسائية بحضور مربية فاضلة لإحياء الإيمان في قلوب النساء هناك، بل سعت بأبناء وشباب بلدتها إلى دعاة الشباب لحفظ القرآن وتعلمه.

وأقامت في بلدتها درساً أسبوعياً في صباح كل يوم سبت تجمع فيه النساء صغاراً وكباراً، وتقوم بتدريسهم القرآن الكريم والسنة النبوية بأسلوب رائع وكلمات عذبة حتى امتلأ المسجد بنساء بلدتها، أحبها الجميع وقدروها فظهرت دعوة إيمانية في بلدتها لم تشاهد قبلاً، مما جعل جميع أهل القرية يتحدثون عنها وعن دعوتها وهمتها العالية.

كانت تسكن في دمشق وفي كل يوم جمعة وسبت كانت تقيم هناك في بلدتها قارة لتقوم بالدعوة إلى الله والإشراف على هذه الدعوة بكل ما تملك.

لكن في أعماقها كانت لها جلسات مع الله في ذكر خفي تناجي فيه ربها، وتذرف دموعها خوفاً منه، وترى نفسها أنها مع كل ما تقدمه وتبذله في سبيل الدعوة إلى الله، مقصرة في حق الله وحمده وشكره، الذي عرفها على العارفين الذين عرفوها بالله عز وجل، فأحبته حباً لا يوصف، وسعت بكل ما تملك لمرضاته، وطلب غفرانه، وكانت تدعو الله عز وجل أن تكون ميتتها وهي تقوم بواجب الدعوة لتلقى وجه الله عز وجل وهي على هذه الحالة، التي ترضيه سبحانه، عسى أن يكون ذلك سبباً في مغفرة ذنوبها وزيادة حسناتها ورفع درجاتها، فهي تحب أن تكون منزلتها في الجنة مع النبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ وأهل الله وأحبائه وأوليائه وعلمائه والدعاة إليه.

فكان هذا دعاءها وديدنها في حلها وعمرتها، وأثناء أداء صلاتها وصيامها، وقيامها الليل وتهجدها وفي ساعة قربها من الله في مناجاتها وذكرها له، وفي كل مناسبة قربٍ إلى الله وتوجه إليه.

في صباح يوم سبت دخلت إلى المسجد الذي تقيم فيه دروساً في بلدتها حيث الطالبات ينتظرنها، سلمت على الحاضرات واتجهت مكان قرب المحراب لتصلي سنة تحية المسجد، ولما

سجدت أطالت السجود وانتظر الجميع ولكنها لم ترفع رأسها بل صعدت روحها الطاهرة إلى بارئها وقد حقق الله أمنيتها، فجاءت لحظة موتها في حالة سجودها وسمو روحها، وهي تناجي ربها وتدعوه بأمنيتها.

وتحققت أمنيتها وكانت ميتتها: **ميتة حسب الطلب.**

نعم انتقلت إلى بارئها شابة لم تبلغ الأربعين، لكنها وفي سنوات قليلة، حققت أعمالاً دعوية بصدق نيتها، وعمق إيمانها، وحسن إخلاصها لم يحققها الكثير في سنوات متعددة.

بكاها الجميع وحق لهم أن يبكوها لأنها نموذج فريد، بكاها الأهل والأصدقاء، والقريب والبعيد، والكبار والصغار، والرجال والنساء.

أقام أهلها مسجداً سمّوه باسمها (مسجد رجاء) ليخلّدوا ذكراها، وليكون هذا المسجد (رجاء) لكل أهل البلدة، رجاء الإيمان والتوفيق والسعادة، رجاء تحقيق دعوة رجاء، ودعاؤها بالصلاح لأهل بلدتها كلهم.

- في هذا المجال أيضاً لابد أن نذكر **قصة الحافظ المحفظ الشيخ محمد عصام الخيمي (أبو اليسر)** الذي درس المرحلة

الابتدائية فقط، ثم توجه إلى العمل لشدة فقر عائلته التي منيت بمشكلة مالية مفاجئة، وقد عمل عدة أعمال، ثم استقر به العمل في معمل نسيج عدة سنوات، وخلال هذه الفترة كان يلتزم درس شيخنا المربي الذي شجعه على طلب العلم ومتابعته، فأكرمه الله بحفظ القرآن الكريم حتى أتمه على يد شيوخ القراء، فأصبح حافظاً محفظاً، ثم تابع قراءة القرآن على القراءات حتى أصبح مجازاً ومجيزاً، ألمَّ به حادث أليم أثناء عمله، أودى بيده لكنّ آلامها العصبية لازمته إلى آخر حياته وهي آلام تفوق الوصف، ومع أنه أجرى عدة عمليات جراحية على أمل التخلص من هذه الآلام لكنها لم تفلح في إذهاب آلامه، وعجزت المسكنات المتعددة عن تهدئة آلامه، تحمل كل ذلك، وثابر على أعماله الدعوية المتعددة، فكان يدرس في العديد من مساجد دمشق وأريافها، وكان أهم عمل يقوم به هو تحفيظ طلبة العلم في مسجد أبي النور القرآن الكريم، فتخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ لا ينسون الفضل الذي أجراه الله على يديه، ولا ينسون الدعاء له.

كان دعاؤه الدائم اللهم اقبضني في أحب الساعات إليك، وأنا أقوم بواجبي بتحفيظ طلبة العلم القرآن الكريم.

وفي صباح يوم سبت أيضاً استمع على عادته من قراءات طلبته، مصححاً لهم أخطاءهم، ومبيناً لهم الأحكام مع ابتسامته المشرقة، مشجعاً لهم بكلمات رقيقة عذبة حتى أذان الظهر فقام فصلى السنة ثم قام لصلاة الفرض مع الإمام وفي الركعة الثانية جاءه الموت ولبى نداء ربه.

مات أبو اليسر الحافظ المحفظ الداعي الكبير المبتلى بآلام يده التي لا يحيط بها الوصف لشدة وقعها مات هذا المبتلى وهذا الحافظ المحفظ وهذا الداعي الكبير، وصلى عليه جموع كثيرة من المؤمنين من العلماء والدعاة وطلبة العلم والأهل والجيران والمعارف، وبكاه الجميع لكنهم كانوا يغبطونه على ميتته المشرفة، وإن شاء الله تعالى سيحشر على ما مات عليه فقد كان يوم وفاته يستمع إلى طلابه وهم يقرؤون عليه قوله تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي
ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ
﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

وهكذا مات أبو اليسر حسب ما يرغب فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- في هذا الموضوع تذكرت **ما رواه اللواء الدكتور محمود شيت خطاب** وهو من العراق في -كتابه تدابيرِ القدرِ- عن قصة واقعية حقيقية جرت معه ملخصُها أن صديقاً له كانت له زوجةٌ مؤمنةٌ تقيةٌ أي: هي من أولياءِ اللهِ اشتدَّ عليها المرضُ كثيراً فرأَت في نومِها أن شيخين صالحين أتياها فقالَ الأولُ لها: يا ابنتي لقد تعبت كثيراً وأمضَّكِ الألَمُ، وأنت بحاجةٍ إلى الراحةِ الطويلةِ في مستَقرٍّ مُريحٍ فتعالَيْ واستقري هنا وأشار إلى مكان يجاور مكانَهُ الذي هو فيه لتستريحي ولن تعاودَكِ الآلامُ في هذا المكانِ أبداً.

وقال الثاني: يا ابنتي سأكونُ في عَونِكِ حين تكونين بحاجة إلى العَوْنِ ولن أنساك أبداً، فلما سألَتْهما عن اسميهما قال الأول: أنا الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلاني، وقال الثاني: أنا أبو أيوبَ الأنصاريُّ.

يقولُ صاحب القصة فسألتني عن تفسيرِ هذا المنامِ فقلتُ لها خيراً إن شاء الله واستقر في نفسي أنها سَتَرْحَلُ إلى العَالَم الآخَرِ فتستريحُ الراحةَ الأبديةَ، ولكني لم أستطع أن أبوحَ لها بذلك، ولكن الذي حيرني في منامِها سؤالٌ ألح علي: ما علاقةُ الشيخين بها وبموتها؟.

وبعدَ مدةٍ وجيزةٍ ماتتْ هذه الوليةُ وأسرَعْتُ إلى زوجِها لتقديمِ المساعدةِ له فوجدتُه في حَيْرَةٍ من أمرِهِ وعلمتُ أن سببَ حَيْرَتِه أنها وصَّت أن تُدْفَنَ في مقبرةِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ وطَلَبَ الزوجُ مني أن أسعى في تحقيقِ أمنيتِها لما يعرفُهُ من مكاني ومعارفي، وتوكَّلتُ على الله وقمتُ باتصالاتي مع معرفتي صعوبةَ هذا الأمرِ فكم من شخصيات كبيرةٍ جداً لم يُسمح لهم بالدفنِ في تلك المقبرةِ ولكن المُيسِّرُ يَسَّرَ الأمرَ فقد هُيئ قبلَ أيامٍ قبرٌ بجانبِ قبرِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، وسُمِحَ لنا باستخدامه، وصلينا المغرب في حرم مسجد عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، وحينَ قُضيت الصلاةُ نادى الإمامُ يدعو المصلينَ إلى الصلاةِ على المرأةِ المسلمةِ وأنا أفكِّر في منامِها فقد حقَّقَ اللهُ رؤياها في دعوةِ الشيخِ عبدِ القادر لتكونَ إلى جانبه فأين مكانُ أبي أيوبَ الأنصاريِّ في رؤياها وفجأةً وقفَتْ

على باب المسجد سيارتان كبيرتان، تحملُ كلٌّ واحدةٍ منهما ثلاثينَ حاجاً من الأتراكِ، ترجَّلُوا مسرعينَ ودخلوا بابَ المسجدِ مُهَرْولينَ باتجاه حَرَمِ المسجدِ، ووجدوا أمامَهم صفاً يريدُ الصلاةَ على المرحومةِ فانضموا إلى ذلك الصفِ وشاركوا في الصلاة.

وبعد أن قُضيتِ الصلاةُ التفتوا يسألونَ عن المرأةِ وكان زوجُها يتكلَّمُ التركيةَ فسلموا عليه وقالَ إمامُهم: أنا إمامُ مسجدِ أبي أيوبَ الأنصاريِّ وهذا خَطِيبُه وهؤلاءِ من المصلين في مسجدهِ هنالكَ وجدت الجواب وسارع إلى شفتي قولُ الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]

فكانت ميتتها: **ميتة حسب الطلب**.

لما انتهيت من قراءة هذه القصة متأثراً بها ودموعي تسيل على خديَّ تذكرت قصة كان سماحة شيخنا رضي الله عنه وأرضاه يذكرها لنا بين حين وآخر في دروسه وكانت تؤثر كثيراً في أعماقنا، إنها **قصة غلام أبي قدامة**، وإليكم تفاصيلها.

- يقول أبو قدامة أحد قادة المسلمين ضد الروم: كنت أميراً ودعوت إلى الجهاد في سبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرّة،

ففضضت الورقة لإقرأها ولأنظر ما فيها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم... من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين سلام الله عليك، أما بعد، فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله ولا قوة لي على الجهاد ولا مقدرة لي على القتال وهذه الصرة فيها ضفيرتي فخذها قيدا لفرسك لعل الله يكتب لي شيئاً من ثواب المجاهدين.

- يقول أبو قدامة: فشكرت الله على توفيقها، وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ويتكتلون ضد أعدائهم، فلما واجهنا العدو أبصرت صبيا حدثا ظننت أنه ليس أهلاً للقتال لصغر سنه، فزجرته رحمة به، فقال: كيف تأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى «انفروا خفافا وثقالا» قال أبو قدامة فتركته ثم أقبل علي وقال: أقرضني ثلاثة أسهم فقلت له وأنا معجب به ومشفق عليه: إني أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لي إنّ منَّ الله عليك بالشهادة فقال: نعم إن شاء الله ثم أعطيته الأسهم الثلاثة، ثم أقبل على العدو في قوة وحماسة وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعا أقبلت عليه وسألته: هل تريد طعاما أو ماء؟ فقال إني أحمد الله على ما صرت إليه ولكن لي إليك حاجة، فقلت له:

ليس شيءٌ أحب إلي من قضائها فمرني بما تشاء يا بني فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الطاهرة: أقرئ أمي مني السلام ثم أدفع إليها متاعي، فقلت له: ومن أمك أيها الشاب؟ قال: أمي هي التي أعطتك شعرها ليكون قيدا لفرسك حين عجزت عن أن تقاتل بنفسها في سبيل الله تحت لوائك، قلت بارك الله فيكم من آل بيت، ثم فارق الحياة، فقمت نحوه بما يحب فلما دفنته لفظته الأرض فعاودت دفنه مرة أخرى فلفظته الأرض أيضا فأعمقت له في الحفر ثم دفنته فلفظته الأرض أيضا. فقلت لعله خرج بغير رضاء أمه فصليت ركعتين ودعوت الله أن يكشف لي من أمر هذا الغلام، فسمعت من يقول لي: يا أبا قدامة: دع عنك ولي الله، فتركته وشأنه، وعلمت أن له مع الله حالا، وبينما نحن كذلك إذ بطير قد أقبل فأكله. فتعجبت كثيرا ثم رجعت إلى أمه تنفيذا لوصيته، فلما رأتني أقبلت علي وقالت ما وراءك يا أبا قدامه؟ هل جئتني معزياً أو مهنئاً؟

فقلت لها وما معنى ذلك يا أمة الله؟ فقالت إن كان ابني قد مات فقد جئتني معزياً. وإن كان قد قتل في سبيل الله وظفر بما يطمع فيه من الشهادة فقد جئت مهنئاً.

فقصصت عليها قصته وأخبرتها عن الطير وما فعلت به.

فقالت: لقد استجاب الله دعاءه.

فقلت لها وما ذلك؟

فقالت: إنه كان يدعو الله في صلواته وخلواته ويقول في صباحه ومسائه اللهم احشرني في حواصل الطير، والحمد الله على تحقيق أمله وإجابة دعائه. قال أبو قدامة: فانصرفت عنها وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الأعداء؟

مات هذا الغلام الميتة التي يرغب فيها، وكانت نهايته حسب ما تمنى فكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب**.

- إنها حوادث وقصصٌ عجيبةٌ مثيرةٌ كلما خلوت بنفسي فكرّت فيها، وكيف أن الله عز وجل استجاب طلبات هؤلاء المؤمنين في اختيارهم لطريقة موتهم فكانت ميتتهم:

ميتة حسب الطلب.

- وفي يوم من الأيام وأنا أسرح في خيالي في هذه الحقيقة تذكرت الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري: عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ،

فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهْوَ يَقُولُ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلاَّ خُلَّةَ الإِسْلاَمِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ» فقلت في نفسي هذا رسول الله ﷺ وقد خير بين زهرة الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله وفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ اختار جوار ربه.

ثم خطر ببالي ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش أم المؤمنين بعطائها، فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له ثم سلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت: (اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا) فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به.

- كما أنني تذكرت قصصاً كثيرة في هذا الموضوع حدثت مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم فكان لهم طلباتٌ يرفعونها إلى الله يتمنون فيها أن يموتوا على هيئةٍ من الهيئات التي يحبونها، فسارعت إلى قراءة السيرة النبوية وتراجم الصحابة والتابعين، ووجدت العديد منها، أذكر منها ما يلي:

- **أولاً في غزوة بدر** فقد روي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال:«قُومُوا إِلَى جَنَّة عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ». قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِىُّ يَا رَسُولَ اللَّه جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ قَالَ «نَعَمْ». قَالَ بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه –صلى الله عليه وسلم– «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلكَ بَخٍ بَخٍ ». قَالَ لاَ وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ منْ أَهْلهَا. قَالَ «فَإِنَّكَ منْ أَهْلهَا». فَأَخْرَجَ تَمَرَات منْ قَرْنه فَجَعَلَ يَأْكُلُ منْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَئنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتي هَذه إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ – قَالَ – فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ منَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتلَ.

[أخرجه مسلم عن أنس بن مالك]

فكانت رغبة هذا الصحابي أن يموت شهيداً فمات على رغبته: **ميتة حسب الطلب**.

- وفي هذه الغزوة أيضاً روى عَامِرُ بْنُ سَعْد، عَنْ أَبيه قَالَ رَأَيْت أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ يَتَوَارَى، فَقُلْت: مَا لَك يَا أَخِي؟ قَالَ إنّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ وَيَسْتَصْغِرَني فَيَرُدّني، وَأَنَا أُحبّ الْخُرُوجَ لَعَلّ اللّهَ يَرْزُقُني الشّهَادَةَ. قَالَ فَعُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ ارْجعْ فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ. قَالَ فَكَانَ سَعْدٌ يَقُولُ كُنْت أَعْقدُ لَهُ حَمَائلَ سَيْفه منْ صغَرِه فَقُتلَ ببَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ ستّ عَشْرَةَ سَنَةً.

[كذا في الإصابة وأخرجه البزار ورجاله ثقات كما في المجمع]

استشهد عمير كما طلب فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- **ثانياً في غزوة أُحد** روي عن سعد بن أبي وقاص، أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تأتي فندعو الله، فجلسوا في ناحية، فدعا سعد، وقال: يا رب، إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله، وآخذ سلبه، فأمن عبد الله ابن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله

فيك ويقاتلني فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله، فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد: كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي لقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه معلقان جميعاً في خيط.

[الاستيعاب في معرفة الأصحاب]

استشهد عبد الله بن جحش حسب طلبه فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- وفي هذه المعركة أيضاً أصر عبد الله بن عمر بن حَرَام رضي الله عنه على الخروج في غزوة أحد وحدث ابنه جابر برغبته فقال له: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول الله ﷺ وإن علي ديناً فاقضِ، واستوصِ بإخوتك خيراً وخرج مع المسلمين ونال وسام الشهادة في سبيل الله وتحقق طلبه ومات فكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب.**

وهاهو جابرٌ يحدثنا عن ذلك قَالَ لَمَّا قُتِلَ أَبِى جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ وَالنَّبِي ﷺ لاَ يَنْهَانِي،

فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِي ﷺ «تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ ».

[أخرجه البخاري]

- يقول جَابرُ بْنُ عَبْدِ اللَّه لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ لِي «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه اسْتُشْهِدَ أَبِى قُتِلَ يَوْمَ أُحُد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا. قَالَ «أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِه أَبَاكَ ». قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ ». قَالَ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

[أخرجه الترمذي]

هكذا كان طلب عبد الله ورغبته في ميتته فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- وفي هذه الغزوة أيضاً كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج فكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله

ﷺ المشاهد أمثال الأسود، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنّ بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج وهو يقول مستقبلاً القبلة اللهم لا تردني إلى أهلي خائباً فقتل شهيداً رضي الله عنه.

[معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني]

وهكذا تحقق طلب هذا الصحابي الجليل ورغبته فكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب.**

- عَنْ أَنَسٍ قَالَ ﷺ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ » - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ

مُعَاذ، الْجَنَّةَ، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُون أُحُد. قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِه بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْف أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِه الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِه. قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِه: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

نعم استشهد أنس بن النضر وكانت هذه رغبته فكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب.**

- وأيضاً حين انتهت معركة أحد راح النبي ﷺ يتفقد أصحابه:مِنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَات؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَك يَا رَسُولَ اللّه مَا فَعَلَ سَعْدٌ فَنظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلَى وَبِه رَمَقٌ. قَالَ فَقُلْت لَهُ إنّ رَسُولَ اللّه ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَات؟ قَالَ أَنَا فِي الْأَمْوَات فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللّه ﷺعَنّي السّلَامَ وَقُلْ لَهُ إنّ سَعْدَ بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَك: جَزَاك اللّهُ عَنّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيّا عَنْ أُمّتِه وَأَبْلِغْ قَوْمَك عَنّي السّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ إنّ سَعْدَ

بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ إنّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ إنْ خَلُصَ إلَى نَبِيّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ قَالَ ثُمّ لَمْ أَبْرَحْ حَتّى مَاتَ قَالَ فَجِئْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَأَخْبَرْته خَبَرَهُ. فقال: (رحمه الله، نصح لله ورسوله حياً وميتاً) ثم استقبل القبلة ورفع يديه يقول: (اللهم الْقَ سعد بن الربيع وأنت عنه راض). [سيرة ابن هشام]

هنيئاً لك يا سعد طلبت الشهادة فنلتها فكانت ميتتك:

ميتة حسب الطلب.

ونصحت المؤمنين لله ورسوله حياً وميتاً ونلت دعاء النبي ﷺ: «اللهم الْقَ سعد بن الربيع وأنت عنه راض».

وظل الصحابة الكرام يذكرون سعد بن الربيع رضي الله عنه بكل خير وإكبار فهاهي ذي فتاة تدخل على الخليفة الصديق رضي الله عنه فيلقي لها ثوبه كي تجلس عليه إكراماً لها فدخل عمر رضي الله عنه ورأى ذلك فقال يا خليفة رسول الله ﷺ من هذه فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذه بنت من هو خير مني ومنك، رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده في الجنة، وبقيت أنا وأنت. [انظر المستدرك]

- وهذا خيثمة أبي سعد بن خيثمة رضي الله عنه، فيما قال لرسول الله ﷺ في الخروج إلى أحد: «عسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله

عندنا، أو تكون الأخرى فهي الشهادة، لقد أخطأتني وقعة بدر، وكنت والله عليها حريصا، حتى ساهمت ابني في الخروج،

فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني، ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقتل بأحد شهيداً». [دلائل النبوة للبيهقي]

استشهد خيثمة هذا الصحابي الجليل كما أحب فكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب.**

- ولقد ذكر النبي ﷺ بإيجاز ما حدث للشهداء في أحد في حديث رواه ابن عباس قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لَمَّا أُصيبَ إخْوَانُكُمْ بأُحُد جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَاف طَيْرٍ خُضْرٍ، تَردُ أَنْهَارَ الْجَنَّة وَتَأْكُلُ منْ ثمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَاديلَ منْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَة فِي ظلِّ الْعَرْش فَلَمَّا وَجَدُوا طيبَ مَأْكَلهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقيلهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّة نُرْزَقُ،

لِئَلا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، وَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ؟ قَالَ: فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾

[آل عمران: ١٦٩ – ١٧١]

[أخرجه أحمد]

ثالثاً في غزوات أخرى:

- أَخْبَرَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عِكْرِمَةُ بْنُ خَالِدٍ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ أَخْبَرَهُ عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ

مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَهُوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ.

[أخرجه النسائي]

نعم استشهد هذا الصحابي الجليل كما كان يرغب ويحب وكانت ميتته: **ميتة حسب الطلب** وقد شهد النبي ﷺ له بذلك.

- في هذا الموضوع لا بد أن نذكر قصة الصحابي الجليل أبي عقيل ففي معركة اليمامة والمعركة في أشدها صاح صائح ياللأنصار أخلصونا فأخذ الأنصار يتجمعون حول الصيحة، وكان أبو عقيل جريحاً في الخيمة، فنظر إليه عبد الله ابن عمر ﵄ وهو يتحرك، فقال له: إلى أين أنت رجل جريح تكاد ذراعك أن تسقط قال: ألا تسمعهم ينادون علي؟ فقال له: إنما ينادى يا

للأنصار، قال وأنا من الأنصار والله لو كنت لا أستطيع أن ألبي النداء إلا حبواً لزحفت دخل المعركة وانتصر المسلمون يقول عبد الله مررت بين القتلى فوجدت أبا عقيل ووجدت به أربعة عشرَ جرحا كلها نفذت إلى مقتل فقلت: أبا عقيل فقال له: لبيك ثم سألني لمن النتيجة فقلت للإسلام وقتل عدو الله مسيلمة فأشار أبا عقيل بأصبعه وهو ينازع الموت وقال: الحمد لله ثم مات.

نعم استشهد هذا الصحابي الجليل وكانت هذه رغبته فكانت ميته: **ميتة حسب الطلب.**

لقد أعطى أبو عقيل درساً عظيماً في انتسابه للجماعة، وأن مناداة الجماعة تعني مناداته لأنه من هذه الجماعة.

- ولابد هنا من ذكر قصة البراء بن مالك بن النضر الأنصاري وهو أخو أنس ابن مالك الذي شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها إلا بدراً لصغر سنه وأظهر يوم اليمامة بطولات فريدة من نوعها فكان فدائياً لا يهاب الموت ولا يهاب الصعاب بل يلقي بنفسه عليها ولو كانت المخاطر فيها، وكان مستجاب الدعوة، فقد روى أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ: «كَمْ مِنْ

أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ».

[أخرجه الترمذي]

- اتسعت رقعة فتوحات المسلمين لبلاد الفرس حتى وصلت إلى تستر فحوصرت أشهراً دون أن يتحقق نصر رغم تفاني المسلمين في جهادهم وقتالهم، وقد قتل البراء بن مالك وحده أثناء الحصار مئة مبارز واستشهد عدد من المسلمين و لم يتحقق النصر بعد.

ولما كان آخر زحف واشتد القتال تقدم نفر من المسلمين وقالوا: يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا فقال البراء: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، اللهم اهزمهم لنا واستشهدني وألحقني بنبيك، ثم تقدم كالسهم فقتل مقدم الفرسان مرزبان ثم استشهد على يد الهرمزان فكانت كلمات البراء لها أثر كبير في نفوس المسلمين جعلت الجميع يشتاقون للشهادة كما اشتاق هو إليها، فتقدمت جموع المسلمين ترمي بنفسها إلى الشهادة حتى انتصر المسلمون وعلت كلمة الإسلام في بلاد الفرس.

استشهد البراء بن مالك فكانت ميتته حسب طلبه:

ميتة حسب الطلب.

- وفي هذا الموضوع لابد أن نذكر قصة نعمان بن عمرو ابن مقرن المزني الذي كان سبباً في إسلام قومه،وكان أول من شهد مع إخوته السبعة الذين أسلموا معه غزوة الخندق، وحمل لواء مزينة يوم الفتح وكان له شأنٌ كبير في واقعة القادسية وفي معركة نهاوند قام يخطب في الجيش قال: يا معشر المسلمين شهدت رسول الله إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم وأمن القوم واستجاب الله، أتى معقل بن يسار بعد انتهاء المعركة يبحث عن النعمان فوجده وبه رمق، فأتى بماء فصبه على وجهه يغسل التراب، فقال: من ذا؟ قال: معقل، قال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله، فقال النعمان: الحمد لله اكتبوا إلى عمر بذلك ثم فاضت نفسه. [انظر سير أعلام النبلاء]

هنيئاً لك أيها الصحابي الجليل، كنت داعياً ومجاهداً وقائداً فذاً، أردت الشهادة مع النصر فنلتهما، فكانت ميتته:

ميتة حسب الطلب.

- وفي هذا الموضوع أيضاً لابد أن نذكر قصة الصحابي أبي أيوب الأنصاري ومن منا لا يعرف أبا أيوب الأنصاري،

واستقباله للنبي ﷺ في المدينة المنورة، ونزول النبي ﷺ في مترله، وتمر الأيام ويشارك مع الجيش المتوجه إلى القسطنطينية لحرب الروم وقد مرض في الطريق مرضاً شديداً فلما حضره الموت دعا أصحابه وأوصاهم قائلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول:(يدفن رجل صالح تحت سور القسطنطينية)، فأحببت أن أكون أنا ذلك الدفين تحت أسوار الروم فإن أنا مت فادفنوني عند السور.

ثم فاضت روحه ونفذ أصحابه الوصية فحملوا جثمانه ثم دفنوه تحت أسوار القسطنطينية.

ويروى أنه بعد أن دفن الصحابة أبا أيوب رضي الله عنه جاء أهل القسطنطينية مع شروق الصباح فقالوا: يا معشر العرب لقد كان لكم الليلة شأن فقال قائد الجيش مات رجل من أكابر أصحاب نبينا محمد ﷺ فبنوا عليه قبة بيضاء وأسرجوا عليه قنديلاً وصاروا يتعاهدون قبره ويزورونه، وإذا قحطوا كشفوا عن قبره فمطروا.

وفي عهد العثمانيين بنو على قبره مسجداً جميلاً بويع فيه كل خلفاء آل عثمان.

لقد حفظ الله قبره مثلما كان يرعى ويحفظ رسول الله ﷺ.

[انظر مختصر ابن عساكر وسير أعلام النبلاء]

هنيئاً لك يا أبا أيوب فقد تحققت أمنيتك ومت كما رغبت تحت أسوار القسطنطينية فكانت ميتتك: **ميتة حسب الطلب.**

- هذا قليل جداً من كثير كثير يمكن أن يذكر في موضوع هذا الكتاب ميتة حسب الطلب فكلما تعمق المؤمن في متابعة قصص الصحابة الكرام والتابعين وأهل الله وأوليائه والعلماء والذاكرين وجد أن لكل واحد منهم رغبة وطلباً يناجي الله به دائما في اختيار ميتة يرغبها ليحشر عليها يوم القيامة فينال رضاء الله وأعلى جنانه ويحقق أمله في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢—٢٣].

ولابد في هذا المقام أن أبين أمراً هاماً: أنني فيما تحدثت به عن رغبة الصحابة في الاستشهاد في سبيل الله أن ننتبه إلى أن استشهاد الصحابة إنما كان في ردع أعداء الله ورسوله أولئك الطغاة الذين أرادوا أن يحافظوا على استعبادهم للشعوب وكان هدف الصحابة الكرام إبلاغ الرسالة وتأدية الأمانة وإعلاء كلمة الحق: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

كان هدفهم في الجهاد إما الدفاع عن الدين والأوطان أو مقاومة الأعداء عند احتلال البلاد أو رفع الظلم عن العباد والدعوة إلى الله ودينه الحنيف وما كانت رغبتهم في القتال وإيلام الآخرين إلا من أجل كل ذلك، كانوا في فتوحاتهم يعرضون على غيرهم دين الله فإن رضوا به ودخلوا في الإسلام فلهم ما للمسلمين جميعا وعليهم ما عليهم وإن استسلموا ورغبوا أن يبقوا على دينهم فلا إكراه في الدين فعليهم أن يدفعوا الجزية أي الضريبة لحمايتهم وحماية أوطانهم من أعدائهم فإن أبى هؤلاء الطواغيت والجبابرة كان لا بد من قتالهم لتخليص الشعوب من سيطرتهم وإحقاق الحق والعدالة والحرية والمساواة والسعادة لشعوبهم والدلالة على دين الله الحق ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

هذه هي الشهادة في الإسلام التي كان يرغب فيها المسلمون لينالوا بها المكانة العالية عند الله قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
(١٧٠) ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران: ١٦٩–١٧١]

فالجهاد في الإسلام إذاً: هو مقاومة أعداء الله ورسوله والدفاع عن الدين والوطن ورد المغتصبين والمستعمرين في أي بلد من بلاد المسلمين كما هو في فلسطين اليوم.

هنا تطلب الشهادة لهذه الغاية السامية.

أما ما نسمعه اليوم ونراه من أعمال وتفجيرات من هنا وهناك لغايات مشبوهة يموت بسببها الأعداد الكبيرة من المسلمين وغيرهم مِنَ الآمنين في أوطانهم فليس هذا من الشهادة في شيء وإنما هي أعمال لا يرضى الله عنها ولا رسوله ولا المؤمنون ولا أي حر عاقل مهما كان دينه.

قال تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢]

حسن الخاتمة

أو قل الأمور بخواتيمها

- هناك حسن الخاتمة، وهناك سوء الخاتمة. وذلك يكون في كل أمر يقوم به الإنسان، فما انتهى عليه أمره من حسن أو سوء فإنه يظهر صحة الأمر الذي كان عليه أو بطلانه.

- لكن المقصود بهذه العبارة بمعناها الخاص خاتمة الإنسان هل هي على كامل الإسلام والإيمان وما يرضي الرحمن فإذاً هي خاتمة حسنة أم هي على نفاق وعصيان وغضب الرحمن وإذاً هي خاتمة سيئة.

- وقد بين النبي ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة منها: ما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالخواتيم».

[صحيح ابن حبان]

وعن معاوية يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بخواتيمها كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله».

[صحيح ابن حبان]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة ». [صحيح مسلم]

وعن أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تَعْجَبُوا بِعَمَلِ عَامَلٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَا يُخْتَمُ لَهُ». [الطبراني في الكبير]

وعن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «لا عليكم ألا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يختم له فإن العامل يعمل زماناً من عمره – أو برهة من دهره – بعمل صالح لو مات عليه لدخل الجنة ثم يتحول فيعمل بعمل سيئ وإن العبد ليعمل زماناً من عمره بعمل سيئ لو مات عليه لدخل النار ثم يتحول فيعمل بعمل صالح وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قالوا: يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال: «يوفقه بعمل صالح ثم يقبضه عليه».

[أخرجه أبو يعلى وإسناده صحيح]

وفي هذا الموضوع نذكر الحديث الذي روي عَنْ أَبى سَعِيد الْخُدْرِىِّ أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى

رَاهِب فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَة فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَة فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَة انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَة وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَاب فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَة جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَاب إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِى صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَة ». [متفق عليه واللفظ لمسلم]

- المؤمن الحق يكون دائماً خائفاً من الخاتمة ويرجو أن تكون حسنة لذلك نجده لا يغفل أبداً عن الله في كل أعماله وتصرفاته، لأنه يعلم أن الموت يأتي بغتة وهو يحب أن يموت على حسن الخاتمة.

- أما المؤمن الغافل أو المنافق فإن خوفه يضعف أحياناً فينسى ربه ولا يقوم بواجباته تجاه دينه بشكل صحيح بل قد يقع في المعاصي والغفلات، أو الشهوات والملذات فيأتيه الموت وهو في هذه الحالة فيموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

- ذكر ابن قدامة المقدسي في كتابه مختصر منهاج القاصدين ما يلي:

(وسوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما أعظم، وهي أن يغلب على القلب والعياذ بالله شك، أو جحود عند سكرات الموت وأهواله، فيقتضي ذلك العذاب الدائم.

والثانية دونها وهي أن يسخط الأقدار ويتكلم بالاعتراض أو يجور في وصيته أو يموت مصراً على ذنب من الذنوب).

وفي سير الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وأخبارهم، وخاصة ما وقع في غزوة أحد ما يشرح **مقولة:**

إن الأمور بخواتيمها فقد وقعت حادثتان فيهما عبرة وبيان.

أما الأولى: فهي قصة الأُصَيْرِم ﵁ فقد روي عن أَبِي هُرَيْرَةَ أنه كَانَ يَقُولُ حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطّ، فَإِذَا

لَمْ يَعْرِفْهُ النّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ أُصَيْرِم، بَنِي عَبْد الْأَشْهَلِ، عَمْرُو بْنُ ثَابت بْنِ وَقْشٍ قَالَ الْحُصَيْنُ فَقُلْت لِمَحْمُود بْنِ أَسَد: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ؟ قَالَ كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمه. فَلَمّا كَانَ يَوْمُ خَرَجَ رَسُولُ اللّه ﷺ إلَى أُحُد بَدَا لَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَعَدَا حَتّى دَخَلَ فِي عُرْضِ النّاسِ فَقَاتَلَ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ. قَالَ فَبَيْنَا رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْد الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَة إذَا هُمْ بِه فَقَالُوا: وَاَللّه إنّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ مَا جَاءَ بِه؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الْحَديث فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِه فَقَالُوا: مَا جَاءَ بِك يَا عَمْرُو؟ أَحَدَبٌ عَلَى قَوْمِك أَمْ رَغْبَةٌ فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ بَلْ رَغْبَةٌ فِي الْإِسْلَامِ آمَنْت بِاَللّه وَبِرَسُوله وَأَسْلَمْتُ ثُمّ أَخَذْت سَيْفِي، فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللّه ﷺ ثُمّ قَاتَلْت حَتّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، ثُمّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ. فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللّه ﷺ فَقَالَ إنّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنّة. [سيرة ابن هشام]

وكأن النبي ﷺ يشير إلى هذا الصحابي بالحديث الذي روي عنه: (جاء رجل مقنع في الحديد إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت لو أني أسلمت أكان خيراً لي قال نعم قال فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قال يا رسول الله أرأيت لو أني حملت على

القوم فقاتلت حتى أقتل أكان خيرا لي و لم أصل صلاة غير أني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال نعم قال فحمل فضارب فقَتَلَ ثم تقاووا عليه فقُتِلَ فقال النبي ﷺ عمل يسيراً وأجر كثيراً) [النسائي في السنن الكبرى عن البراء]

والثانية: فهي قصة مُخَيْرِيق وَكَانَ مِمّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ الْفِطْيُونِ قَالَ لَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُد، قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاَللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّ نَصْرَ مُحَمّد عَلَيْكُمْ لَحَقّ، قَالُوا: إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ قَالَ لَا سَبْتَ لَكُمْ. فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَعُدّتَهُ وَقَالَ إنْ أُصِبْتُ فَمَالِي لِمُحَمّد يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ ثُمّ غَدَا إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتّى قُتِلَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنَا - مُخَيْرِيق خَيْرُ يَهود. [الروض الأنف]

وقد نقل الذهبي وابن حجر السهيلي أن مخيريق مات مسلماً.

من هاتين القصتين نعلم أن الأمور بخواتيمها وقد كانت خاتمة كل واحد خاتمة حسنة.

كما وأن هناك قصة ثالثة تظهر هذا المعنى ولكن بشكل آخر.

وهي قصة قزمان المنافق حيث كان قَدْ تَخَلّفَ عَنْ أُحُد، فَلَمّا أَصْبَحَ عَيّرَهُ نِسَاءُ بَنِي ظَفَرٍ فَقُلْنَ يَا قُزْمَانُ. قَدْ خَرَجَ الرّجَالُ

وَبَقيت يَا قُزْمَانُ، أَلَا تَسْتَحْيِي ممّا صَنَعْت؟ مَا أَنْتَ إلّا امْرَأَةٌ خَرَجَ قَوْمُك فَبَقيت في الدّار فَأَحْفَظَنَهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَخْرَجَ قَوْسَهُ وَجَعْبَتَهُ وَسَيْفَهُ – وَكَانَ يُعْرَفُ بالشّجَاعَة فَخَرَجَ يَعْدُو حَتّى انْتَهَى إلَى رَسُول اللّه ﷺ وَهُوَ يُسَوّي صُفُوفَ الْمُسْلمينَ فَجَاءَ منْ خَلْف الصّفُوف حَتّى انْتَهَى إلَى الصّفّ الْأَوّل فَكَانَ فيه. وَكَانَ أَوّلَ مَنْ رَمَى بسَهْمٍ منْ الْمُسْلمينَ. فَجَعَلَ يُرْسلُ نَبْلًا كَأَنّهَا الرّمَاحُ وَإِنّهُ لَيَكتّ كَتيتَ الْجَمَل. ثُمّ صَارَ إلَى السّيْف فَفَعَلَ الْأَفَاعيلَ حَتّى إذَا كَانَ آخرَ ذَلكَ قَتَلَ نَفْسَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ إذَا ذَكَرَهُ قَالَ منْ أَهْلِ النّار. فَلَمّا انْكَشَفَ الْمُسْلمُونَ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفه وَجَعَلَ يَقُولُ الْمَوْتُ أَحْسَنُ منْ الْفرَار يَا آلَ أَوْسٍ قَاتلُوا عَلَى الْأَحْسَاب وَاصْنَعُوا مثْلَ مَا أَصْنَعُ قَالَ فَيَدْخُلُ بالسّيْف وَسْطَ الْمُشْركينَ حَتّى يُقَالَ قَدْ قُتلَ ثُمّ يَطْلُعُ وَيَقُولُ أَنَا الْغُلَامُ الظّفَريّ حَتّى قَتَلَ منْهُمْ سَبْعَةً وَأَصَابَتْهُ الْجرَاحَةُ وَكَثُرَتْ به فَوَقَعَ. فَمَرّ به قَتَادَةُ بْنُ النّعْمَان فَقَالَ أَبَا الْغَيْدَاق قَالَ لَهُ قُزْمَانُ: يَا لَبّيْكَ قَالَ هَنيئًا لَك الشّهَادَةَ قَالَ قُزْمَانُ: إنّي وَاَللّه مَا قَاتَلْت يَا أَبَا عَمْرو عَلَى دينٍ مَا قَاتَلْت إلّا عَلَى الْحفَاظ أَنْ تَسيرَ قُرَيْشٌ إلَيْنَا حَتّى تَطَأَ سَعَفَنَا. فَذُكرَ للنّبيّ ﷺ جرَاحَتُهُ فَقَالَ منْ أَهْلِ النّار. فَأَنْدَبَتْهُ الْجرَاحَةُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إنّ اللّهَ يُؤَيّدُ هَذَا الدّينَ بِالرّجُلِ الْفَاجرِ.

وفي هذا الخبر بيان لمكان النية في الجهاد وأنه من قاتل حمية عن قومه أو ليقال شجاع و لم تكن أعماله لله تعالى لايقبل الله منه ويموت على سوء الخاتمة.

- ما مر معنا من تلك القصص يذكرنا بحديث النبي ﷺ الذي كان يدعو به كثيراً: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ». [الترمذي عن أنس]

وبحديثه ﷺ الذي كان يستعيذ به من سوء الخاتمة فيقول ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِى الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ».

[سنن أبي داود عن أبي اليسر]

وكذلك يذكرنا بدعاء الأنبياء والمرسلين والصالحين المذكور في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾

[آل عمران: ٨–٩]

الوصية من حسن الخاتمة

- من علامات حسن الخاتمة أن يلهم الله عز وجل المؤمن كتابة وصيته، كما أمر النَّبِيَّ ﷺ حين قال: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَمُرُّ عَلَيْهِ ثَلَاثُ لَيَالٍ إِلَّا وَعِنْدَهُ وَصِيَّتُهُ». [صحيح مسلم]

- وجاء في شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله: (فِيهِ: الْحَثّ عَلَى الْوَصِيَّة، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْر بِهَا).

- هذا ويجب على كل مسلم أن يجدد محتوى وصيته بين الفترة والأخرى حسب تغير الظروف والأحوال والحقوق.

- والوصية على نوعين: وصية إيمانية، ووصية مالية.

أما الوصية الإيمانية:

فهي أن يكتب المؤمن كتاباً يوصي به والديه إن وجدا وزوجته وأولاده وأحفاده، وأقرباءه، ومن هم تحت إشرافه، يوصيهم بالتمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه والسنة المطهرة وإرشاداتها وباتباع الطريق المستقيم، والدين القويم، والشرع الحكيم في كل أمور حياتهم.

ويوجه الوصية لكل واحد منهم على حدةٍ بما يجب عليه فعله تجاه نفسه وتجاه الآخرين من أقربائه في أمور الدين والدنيا

والآخرة ويوصي أصحاب الأعمال بالاستقامة في أعمالهم والتقوى في كل تصرفاتهم، والإحسان إلى الآخرين وخاصة الأرحام والجيران والأصدقاء والمعارف، ومتابعة أعمال الخير التي كان الموصي يقوم بها، والمساعدات التي كان يقدمها للمحتاجين وغيرهم، وكل عمل خير كان يؤديه أو يشرف عليه أو يبذله.

أما الوصية المالية:

فهي أن يبين الموصي ما له وما عليه من الناحية المالية، لِيُتِمَّ الموصى إليه بعد وفاته استرجاع الحقوق من الآخرين وأداء الواجبات، حتى لا تضيع الحقوق لهم.

وعلى الموصي أن ينتبه لما يلي:

أولاً: لا يجوز له أن يورث وارثاً زيادة على الآخرين إلا برضا جميع الورثة (أي لا يجوز للمورث أن يوصي بشيء لأحد من ورثته).

ثانيا: لا يحق للمورث أن يحرم أحداً من ورثته وخاصة البنات لقوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [النساء: ٧].

ثالثاً: من العدل الواجب في الإسلام وجوب أن يذكر الموصي ما أعطاه لأحد أفراد الأسرة من إرث أو مال دون غيره مع ذكر وجوب رد ما أعطاه إلى كامل الإرث ثم بعد ذلك يعطى كل ذي حق حقه حسب الشرع.

رابعاً: أن يعلم الموصي أن خير ما يتركه المرء بعده ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ».

[رواه الترمذي عن أبي هريرة]

فيحق للمورث أن يوصي بثلث ماله لمن شاء (عدا الورثة) ولما شاء (كأن يوصي ببناء مسجد أو يوقف وقفا ما.....) ولكن عليه أن يراعي حال الورثة فإن كانوا فقراء أو ضعفاء فالأفضل له أن يترك المال لهم حتى لا يذرهم عالة على الناس كما ورد عنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ﵁ قَالَ: جَاءَ النَّبِي ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهْوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، أُوصِى بِمَالِي كُلِّه قَالَ: «لاَ». قُلْتُ فَالشَّطْرُ قَالَ «لاَ». قُلْتُ الثُّلُثُ. قَالَ «فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ

النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَة فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ».

[أخرجه البخاري]

- ومن الخير للمؤمن الذي وسّع الله عليه بالمال، أن يوسع على الناس في حياته وخاصة أولاده فلا يضيق عليهم، ولا يحبس عنهم ماله، وهم في أشد الحاجة إليه، حتى يعيشوا عيشة هنية وفي سعادة تامة، فإذا هم يدعون الله له من أعماق قلوهم بالصحة وطول العمر وسعادة الدارين.

وينبغي عليه ألا يمسك ماله عن أرحامه وعن أهل الحاجة والفقراء من غير أرحامه فإن أفضل الصدقة كما روى أبو هريرةرضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه أَيُّ الصَّدَقَة أَعْظَمُ أَجْرًا قَالَ «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ».

[أخرجه البخاري]

- وهذا المؤمن له أن يدخر لنفسه خيراً كثيرا بعد موته لا ينقطع عنه إلى قيام الساعة، وذلك بأن ينفق في حياته أو يوصي بأقل من ثلث ماله لينفق في أعمال الخير المتعددة ومنها:

١- بناء المساجد أو المشاركة في بنائها حسب استطاعته.

٢- المساهمة في المشاريع الخيرية للفقراء والأيتام.

٣- المساهمة في مشاريع التعليم الشرعي والمجمعات الإسلامية والمدارس الشرعية التي تخرج طلبة العلم المعتدلين الذين هم علماء المستقبل، وحملة الدعوة الذين ينشرون الدين والخير وينشدون سعادة المسلمين في الدين والدنيا والآخرة، ويربون المواطن الصالح الذي يعمل لخير دينه وبلده وأمته ويسعى إلى وحدة الكلمة والتعايش المشترك والأمن والأمان بعيداً عن الفرقة والتعصب والأنانية، وكم يكون الثواب كبيراً لو ساهم الأغنياء في دفع أقساط هؤلاء الطلبة، أو في تزويج هؤلاء الشباب وتقديم المساعدة لهم وخاصة في شراء بيت يساهم في سعادتهم.

٤- المساهمة في رفع كيان أسرته وعائلته التي ينتمي إليها من خلال تقديم المساعدات لهؤلاء الأرحام إن كانوا فقراء أو مساكين أو أيتاماً أو أرامل أو من خلال تزويج الشباب الفقراء منهم وتقديم أهم مستلزمات الزواج والحاجات الضرورية.

٥- الاهتمام بالجيران ومساعدة المحتاجين منهم ورفع شأنهم عملاً بوصية النبي ﷺ بهم.

- فما أعظمك أيها المؤمن وأنت تسعى في هذه الأمور فكل هذه الأمور مقدمات لحسن الخاتمة والوصول إلى رضاء الله ورسوله والأهل والناس أجمعين.

- بهذه الأعمال تجمع بين الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به فإن أكرمك الله بالأولاد الصالحين الذين يدعون لك فقد استكملت الأعمال التي لا ينقطع أجرها وأعمالها بعد موتك وإلى قيام الساعة

فهنيئاً لك ذلك فقد نلت أعظم عمل تقوم به في حياتك.

- وينبغي لكل مؤمن صادق الإيمان مؤيَّدٍ بتوفيقِ الرحمنِ أن يكتب وصيته الإيمانية والمالية ويضعها في مكان أمين يعلم بها من يثق به من أفراد الأسرة أو عند شخص موثوق به والأفضل من كل ذلك أن يكون له محامٍ خاص يضعها عنده كي ترد الحقوق التي عليه إلى أصحابها وليحفظ للورثة ما لهم من حقوق عند الناس.

- كذلك ينبغي على الورثة أداء حقوق الآخرين،ووفاء الديون، وإنفاذ الوصية قبل توزيع التركة، وإذا علم الورثة أن

بالإرث مالاً حراماً أو مغصوباً وعلموا صاحبه، وجب عليهم أن يردوه إليه لوجوب رد المظالم إلى أهلها ليرفعوا عن أنفسهم وعن المورِّث الوزر ويكسبوا من الأجر أضعافاً مضاعفة.

وإن كان أحد من الورثة قد أخذ من مورثه مالاً أو أي شيءٍ آخر من بيت أو عقار أو عمل انتفع به دون علم الآخرين من الورثة عليه أن يبين ذلك وأن يضم ذلك إلى الإرث ليوزع على الجميع حسب الشرع أو يسامحوه بما لديه. وعلى الجميع أن يعلموا أن الله عليم بكل شيء مطلع على كل شيء يحاسب على كل شيء والمهم السير على ما يرضي الله لا على ما تهواه الأنفس وما يرغب به الشيطان فكل ذلك إلى زوال والمصير إلى يوم الحساب ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾** ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

الطريق لاختيار الخاتمة

إذا كنت تخاف من سوء الخاتمة وتحب أن يختم لك بخير فإليك البيان:

- اسعَ لتطبيق أوامر الله والابتعاد عن نواهيه ومحرماته.
- حافظ على سنة رسول الله ﷺ وإرشاداته.
- استقم على شرع الله ودينه.
- أدِ حقوق الله وحقوق والديك وأهلك وأرحامك وجيرانك ومجتمعك على أحسن وجه وأكمل صورة.
- كن محباً لله ورسوله، وكن تقياً نقياً منفقاً باذلاً ساعياً لأعمال الخير.
- تحرَ الإخلاص في عملك مع سلامة صدرك، وصفاء سريرتك، وحسن ظنك بالمسلمين خيراً.
- كن متواضعاً ورحيماً وصابراً على الحق ومستقيماً عليه.
- كن ملازماً للصالحين وأولياء الله وأحبابه والمربين المرشدين وإياك من معاداتهم أو إيذائهم.
- كن مستقيماً لا تتغير ولا تتبدل مع الزمان أو المكان ملتزماً بدينك في كل أموره.
- كن ثابتاً صامداً صابراً ناجحاً في امتحانات الله لك شاكراً لأنعمه حامداً لعطاياه.

- إن كنت كذلك فأنت مؤمنٌ تسير في الطريق المستقيم الذي يؤدي لحسن الخاتمة، ورضاء رب العالمين، ونيل الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأنت من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا في الدنيا ولا عند الموت ولا عند البعث والنشور ولا في اليوم الآخر.

- أما المدعي للإسلام فهو المنافقُ الفاجر الفاسق العاصي، العاق لوالديه والظالم للآخرين والآكل للحقوق، والغاش الماكر والمخادع والحسود، والمستهتر بدينه وتعاليمه وقيمه وسلوكه، والمتعجرف المتكبر، المعجب بنفسه المحتقر للآخرين.

- فهذا الإنسان وإن كان يصلي في أول الصفوف ويتبجح بعبارات الإسلام ويتحدث به هنا وهناك فإنه يسير في طريق الشيطان الذي يؤدي إلى سوء الخاتمة إلا إن تاب ورجع قبل أن يأتيه أجله فإن لم يرجع ويتب قبل مجيء أجله فلن يفيده ندمه ولات ساعة مندم قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ — ١٠٠]

اطلب الخاتمة

- بعد كل ما مر معك، وبعد يقينك أن الموت حق سوف يأتيك في لحظة قدرها الله لك وأنت على حالة لا يعلمها أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى هل تحب أن تقدم طلباً ودعاءً ورجاء لله تعالى أن تأتي هذه اللحظة وأنت في أحسن حال من رضاء الله عز وجل عنك.

- هل تحب أن تختار حالةً من حالات حسنِ الخاتمة تكون عليها فتأتيك هذه اللحظة وأنت على أحسن حال فكر ملياً فيما ترغب وأكثر من الدعاء في ساعات القرب أن يحقق الله لك طلبك.

- ولقد أمرنا الله عز وجل أن نحرص على الاستقامة فإذا جاء المؤمن أجله ذهب إلى ربه راضياً مرضياً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢]

قال ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

[أخرجه مسلم عن جابر]

- عن ابن عمر ﵄ قال،قال رسول ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا».

[رواه الترمذي]

- لذلك كان سيدنا عمر ﵁ يدعو ويقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك وفي رواية عن حفصة فقلت أنى يكون هذا فقال يأتيني به الله إن شاء».

[متفق عليه]

(والعجب كل العجب كيف يطلب سيدنا عمر ﵁ الشهادة في سبيل الله وأن تكون في بلد النبي ﷺ أي في المدينة ومثل هذه الشهادة تكون في الغزوات خارج المدينة، ولكن الله استجاب دعاءه وحقق أمنيته فمات شهيداً في المدينة المنورة كما رغب بطعنة ذلك الزنديق أبي لؤلؤة).

- وعن جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ اسْتَوْجَبَ شَفَاعَتِي، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الآمِنِينَ».

[أخرجه البيهقي والطبراني في الكبير]

- أمّا أنا فإنني أختار وأدعو الله واطلب منه في ساعات القرب والمناجاة والنفحات والساعات المباركات:

- اللهم أطل في عمري مع الراحة في قلبي وجسدي حتى أرى أهلي على أحسن حالٍ مع الاستقامة على شرعك والتمسك بكتابك وسنة نبيك فألقاك وأنت راضٍ عني.

- اللهم متعني بديني وإيماني وعقلي وجسدي وقلبي وسمعي وبصري وكلامي وجميع حواسي وأجهزتي واجعلها الوارث مني ولا ترني فيها سوءاً ولا في أهلي ومتعني وإياهم بالعفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وفي المال والأهل والولد.

- اللهم داونا واشفنا أنت الشافي واكفنا أنت الكافي وجميع أهلنا وإخواننا.

- اللهم لا تُبَرِّك أحداً منا ولا تحج أحداً إلى أحد.

- اللهم لا تمتحنا ولا تبتلينا فلسنا أهلاً للامتحان والبلاء وعاملنا بألطافك الخفية وبما أنت أهلٌ له.

- اللهم ارزقنا العافية ودوام العافية والشكر على العافية وتمام العافية وحسن الخاتمة والوفاة على الإيمان وأنت راضٍ عنا يا رحيم ويا رحمن.

- اللهم إنا أسألك أن يوافيني أجلي في أحب الساعات إليك وفي أحب الأعمال إليك وأنا في أحسن حال منك وإليك...

- أثناء تلاوة القرآن وترتيله آناء الليل أو أطراف النهار.

- في أثناء الصلاة وفي السجود خاصة أثناء تسبيحك ومناجاتك ودعائك، في صلاة قيام الليل أو التهجد أو صلاة الفجر.

- أثناء جلسات الذكر أو الورد اليومي أو الدعاء الصباحي.

- في شهر رمضان وأنا صائم أو قائم في صلاة التراويح أو التهجد.

- أو في العمرة أو الحج وأنا محرم أطوف حول الكعبة أو أسعى بين الصفا والمروة أو في موقف عرفات والحجاج يدعون ويناجون الله ويسألونه حاجاتهم وأن يغفر لهم.

- أو عند زيارة النبي ﷺ في حرمه الشريف وأنا أصلي وأسلم عليه أو في الروضة المشرفة أقرأ القرآن أو أصلي أو أذكر الله أو أدعوه.

- أو مجلس علم أتلقى العلم من المربين الربانيين وأنا في حال قرب من الله عز وجل.

- أو في مجلس ذكر مع الأولياء الصالحين أولياء الله وأحبائه.

- أو في مجلس علم أقوم فيه بالتدريس على مقعد التدريس أو على المنبر أخطب الناس أو أؤُمُ المسلمين في المحراب.

- أو في عمل دعوي أقوم به في خدمة عباد الله ودلالتهم على الله.

- أو بين أهلي وأنا أرشدهم وأوجههم نحو الله وأعلمهم دينهم وحب الله ورسوله.

- اللهم اختم بالصالحات أعمالنا وتوفنا وأنت راضٍ عنا.

- اللهم هذا طلبي ومنيتي فحقق لي ذلك وأنت في كامل الرضا عني ولقني الأمن والأمان واجعل ملائكة الرحمة زواري ولقني أفضل جواب حين أسأل.

- واجعل قبري روضة من رياض الجنة واجعل نوره يتلألأ إلى يوم القيامة.

- واجعل روحي في عالم البرزخ مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

- واجمعني مع النبي ﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام أجمعين وتابعيهم وتابع تابعيهم من العلماء العاملين وأوليائه الذاكرين وأهل الله أجمعين.

- ومع شيخي وولديَّ وجميع من سبقني من أهلي وإخواني وأحبابي أجمعين.

- اللهم اختم بالصالحات أعمالي، ألقاك وأنت راضٍ عني، اللهم آمين آمين آمين....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس